فتح الخلاق

ببيان

جمل من محاسن ومساوئ الأخلاق

تأليف أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

حفظه الله وسدده



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد:

فقد من الله عليَّ بإلقاء دروس يومية في مجالس ظهر رمضان لعام واحد وأربعين وأربعمئة وألف وكانت بعنوان (**فتح الخلاق ببيان جمل من محاسن ومساوئ الأخلاق**).

والقصد من ذلك تذكير المسلمين بباب عزهم، ودعوتهم إلى مكارم الأخلاق، وتحذيرهم من سفاسفها، فهي لب دعوة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** " أخرجه أحمد.

وفي دعاء رسول الله ﷺ: " **اللهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، اصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ** " أخرجه مسلم عن علي رضي الله عنه .

فأسأل الله أن ينفع بها في المحيا وبعد الممات، والحمد لله رب العالمين .

كتبه/ عبد الحميد بن يحيى بن زيد الزعكري الحجوري

١١/ ذو القعدة/ ١٤٤١ هـ

المجلس الأول: الصدق والكذب[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

نذكر في هذا المجلس خلقين شأنها عظيم، أحدهما حث النبي صلى الله عليه وسلم وتخلق به ودعا إليه والثاني اجتنبه النبي صلى الله عليه وسلم.

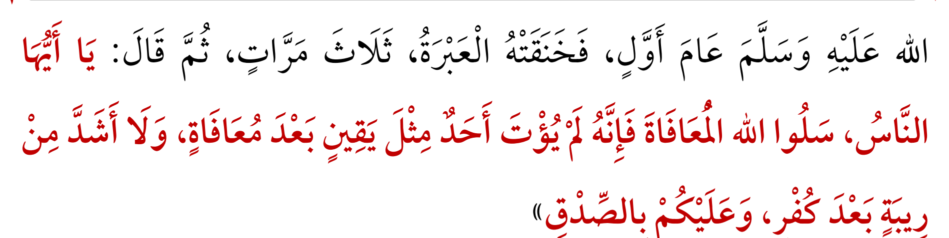
أحدهما سبب لنيل رضوان الله ودخول جنة الله.

والثاني سبب لسخط الله عز وجل، ودخول ناره.

دل عليهما حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فإنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وَإِنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ الصدق حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». الحديث في "الصحيحين".

و في خطبة أبي بكر رضي الله عنه كما في "مسند الإمام أحمد": عَنْ أَوْسَطِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَةٍ، فَأَلْفَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى

[1] كان هذا المجلس في ٢ / من رمضان / ١٤٤١ .



الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ أَوَّلٍ، فَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ مِثْلَ يَقِينٍ بَعْدَ مُعَافَاةٍ، وَلَا أَشَدَّ مِنْ رِيبَةٍ بَعْدَ كُفْرٍ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**»

أي: الزموا الصدق في أفعالكم وأقوالكم واعتقاداتكم، فلا يظن الظان أن الصدق في نطق اللسان فقط ، بل الصدق يتضمن القيام بأمر الله عز وجل من التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وكل ما أمر الله سبحانه وتعالى به ولهذا قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩].

أي: مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم، وما يدل على هذا المعنى حديث شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاءَ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ فآمَنَ بِهِ واتَّبعَهُ وقالَ: أُهاجرُ معَكَ فأوصى بِهِ النَّبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ بعضَ أصحابِهِ فلمَّا كانَت غزوةٌ، غنِمَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ فيها أشياءَ، فقَسمَ وقسمَ لَهُ فأعطَى أصحابَهُ ما قَسَمَ لَهُ وَكانَ يرعى ظَهْرَهُم. فلمَّا جاءَ دفَعوا إليهِ فقالَ: ما هذا ؟ قالوا: قَسْمٌ قَسمَهُ لَكَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ. فأخذَهُ فجاءَ بِهِ النَّبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ فقالَ: يا مُحمَّدُ، ما هذا ؟ قالَ: قَسمتُهُ لَك. قالَ: ما على هذا بايعتُك، ولَكِنِّي بايعتُكَ على أن أُرمَى هاهُنا وأشارَ إلى حلقِهِ بسَهْمٍ فأموتَ وأدخلَ الجنَّةَ. فقالَ: «**إن**

تَصدُقِ الله يَصدُقْكَ» فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهُوَ هُوَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «صَدَقَ الله فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللهمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ» أخرجه النسائي .

ومعنى ما تقدم إن كنت صادقا في قيلك وفعلك ونيتك فإن الله عز وجل سييسر لك ما رجوته وأملته إذ أن الله سبحانه عند ظن عبده به، ففي الحديث القدسي عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» وأخرجه الشيخان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي " .

والصدق عباد الله، تعالى به الأخيار لا سيما الأنبياء الذين هم صفوة الأبرار، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب في قومه قبل مبعثه بالصادق الأمين، وقالت عنه زوجه خديجة رضي الله عنها: «كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَالله لَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدُق الْحدِيثَ ، وَتَحْمِلُ

الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

علمت بفطرتها المستقيمة، وبعلمها الذي منحه الله إياها أن الصادق لا يخزى، وأقسمت على ذلك، ولما سأل هرقل أبا سفيان قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ: قُلْتُ: لاَ وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ " متفق عليه عن أبي سفيان رضي الله عنه .

فاستدل بصدقه على إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم في بدأ دعوته كان يدعو إلى الصدق، قبل الأمر بالجهاد والصيام، والحج، بل قبل كثير من الطاعات ففي حديث أبي سفيان لما سأله هرقل: "قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللهَ وَحْده وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ ".

فالدين الإسلامي حث ورغب في هذه الشعيرة لأن الصدق صفة محمودة، وصفة عظيمة، يتحلى بها الكرماء، وربما زهد فيها اللؤماء، وانظروا إلى أبي سفيان، قال له هرقل: "فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي

مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: كَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدُر فقال أبو سفيان: وَاللهِ لَوْلَا أَنْ يُأَثِّرَ عَلَيَّ الكَذِبَ لَكَذَبْتُ عَلَيْهِ"

فكان يهم أن يكذب في حال كفره على النبي صلى الله عليه وسلم لكن خشي أن تؤثر عنه هذه الصفة الذميمة ، فعلينا أن نتحلى بالصدق في بيعنا وشرائنا مع أبنائنا ومع جميع ما يتعلق بنا، فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال قَالَ رسول اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «الصِّدْقَ طُمأنينَةٌ» رواه الترمذي.

طمأنينة وسكينة وراحة في القلب وهدوء في البال، «وَالْكَذِبَ رِيبةٌ»، وحقيقتها قلق النفس واضطرابها، فإذا كذبت على امرأتك أو على أبيك أو صاحبك أو ابنك تخشى أن تفضح، وتبقى قلقاً متخوفاً، بينما إذا كنت صادقا لا تخشى ولا تتهيب.

وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي خَالِدٍ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» فبسبب الصدق تحصل البركة في الرزق، بخلاف لو داخل البيع الكذب تنزع منه البركة، ولو كثرت الأموال، والله المستعان .

قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣١١): وَفِي الْحَدِيثِ حُصُولُ الْبَرَكَةِ لَهُمَا إِنْ حَصَلَ مِنْهُمَا الشَّرْطُ وَهُوَ الصِّدْقُ وَالتَّبِيينُ وَمَحْقُهَا إِنْ وُجِدَ ضِدُّهُمَا وَهُوَ

الْكَذِبُ وَالْكَتْمُ وَهَلْ تَحْصُلُ الْبَرَكَةُ لِأَحَدِهِمَا إِذَا وُجِدَ مِنْهُ الْمَشْرُوطُ دُونَ الْآخَرِ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِيهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ شُؤْمُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِأَنْ تُنْزَعَ الْبَرَكَةُ مِنَ الْمَبِيعِ إِذَا وُجِدَ الْكَذِبُ أَوِ الْكَتْمُ مِنْ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَإِنْ كَانَ الْأَجْرُ ثَابِتًا لِلصَّادِقِ الْمُبَيِّنِ والوزر حَاصِل لِلْكَاذِبِ الْكَاتِمِ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الدُّنْيَا لَا يَتِمُّ حُصُولُهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَنَّ شُؤْمَ الْمَعاصِي يذهب بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . اهـ

فالصدق ينفع الله به العباد في الدنيا والآخرة وقد ذكر الله فيمن ذكر من أصحاب الأجر العظيم ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ وفي آخر الآية ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وقال الله عز وجل مخبراً عن يوم القيامة ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ أي في أحلك المواقف وأشدها حيث لا شفيع، ولا ناصر، ولا معين، ولا مال، ولا جاه، ويُنتفع بالصدق مع الله ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فلو نعود أنفسنا الصدق، قولاً وفعلاً واعتقاداً وعلينا أن نتحلى به في جميع أحوالنا، فو الله إن هذا من أعظم أسباب رفع الدرجات، وحصول البركات وتحصيل الحسنات، والله المستعان.

والخلق الذميم المضاد لهذه الصفة الكذب

سواء كان الكذب القولي، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّه أتاني اللَّيْلَةَ آتِيانِ، وإنَّهما ابْتَعَثانِي، وإنَّهُما قالا لي انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ معهُما، ....فأتَيْنا علَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفاهُ، وإذا آخَرُ قائِمٌ عليه بكَلُّوبٍ مِن حَدِيدٍ، وإذا هو يَأْتي أحَدَ شِقَّيْ وجْهِهِ فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قَفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلى قَفاهُ، وعَيْنَهُ إلى قَفاهُ، - قالَ: ورُبَّما قالَ أبو رَجاءٍ: فَيَشُقُّ - قالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إلى الجانِبِ الآخَرِ فيَفْعَلُ به مِثْلَ ما فَعَلَ بالجانِبِ الأوَّلِ، فَما يَفْرُغُ مِن ذلكَ الجانِبِ حتَّى يَصِحَّ ذلكَ الجانِبُ كما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى قالَ: قُلتُ: سُبْحانَ اللهِ ما هذانِ؟ قالَ: قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا،...» إلى أن قال: «وأَمَّا الرَّجُلُ الذي أتَيْتَ عليه، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ، ومَنْخِرُهُ إلى قَفاهُ، وعَيْنُهُ إلى قَفَاهُ، فإنَّه الرَّجُلُ يَغْدُو مِن بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ» أخرجه البخاري عن سمرة رضي الله عنه.

أو كان الكذب في الفعل والاعتقاد، قال الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ۗ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

حيث كذبوا في اعتقاداتهم، وأما بألسنتهم فإنهم يقولون محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا صدق وواقع من حيث النطق، ولكنهم في اعتقادهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبر الله أنهم كاذبون

وذلك لما كانت قلوبهم على غير ذلك، وسموا بالكذب، وسموا به. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَ:» -أي: أظهر علامات النفاق- «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» رواه البخاري ومسلم .

فالحذر من الكذب فإنه يقوده إلى الفجور، كما تقدم حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا » فيفجر في الخصومة، وفي الشهادة، وفي البيع، وفي الشراء، وفي جميع شأنه، وفي يوم القيامة يقول الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الكَاذِبِينَ﴾.

والكاذب يلازمه الكذب حتى في القيامة، ففي "صحيح مسلم": «قال : فيلقى العبد فيقول : أي فل ، ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى. قال : فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا. فيقول : فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني، فيقول : أي فل، ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى، أي رب. فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا. فيقول : فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول : يا رب، آمنت بك وبكتابك وبرسلك،

وصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخير ما استطاع، فيقول : هاهنا إذن. قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه : من ذا الذي يشهد علي ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»

فيا أيها المسلمون علينا أن نتأدب بالآداب الشرعية، والأخلاق النبوية، ومن ذلك أن لا يحدث المرء بكل ما سمع حتى يتثبت فيما يقو، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه .

وبمعرفة فضيلة الصدق يعرف شؤم الكذب، وكما قيل: (بضدها تتبين الأشياء) .

وقد عدوا من الكذب كذب الأم أو الأب على الابن: تعال أعطيك ولا يريد ذلك ، فعود نفسك ، وأبنائك ، وزوجك، ومجتمعك على الصدق.

وقد نعلم أبنائنا الكذب ونحن لا نشعر، يأتي الابن بين يديك قد ألمَّ بأمر ربما يحتاج فيه إلى تأديب، فإن صدقك ضربته، وإن كذبك تركته! وهذا من الأخطاء الشائعة بين الناس فاطلب منه الصدق وبشره بالخير، فإذا رأيت منه الصدق، اعف عنه مع نصحه، والله المستعان .



فينبغي عباد الله أن نتحلى بخلق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وبخلق المؤمنين الصادقين، ألا وهو الصدق، وأن نتنزه عن الخلق اللئيم، ألا وهو الكذب.

قال ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٥١):

إن اللهَّ جل وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها اللهَّ للنطق بتوحيده بالكذب بل يجب عَلَيْهِ المداومة برعايته بلزوم الصدق وما يعود عَلَيْهِ نفعه في داريه لأن اللسان يقتضي مَا عود إن صدقا فصدقا وإن كذبا فكذبا

ولقد أحسن الذي يقول:

عود لسانك قول الخير تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي مَا سننت له ... فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد . اهـ

المجلس الثاني: الأمانة والخيانة [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد :

نتكلم في هذا المجلس عن خلقين متضادين على شرطنا الذي ذكرناه:

أحدهما رغب الله عز وجل فيه وحث عليه، وتخلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني حذر الله عز وجل منه، وتنزه عنه، وحذر منه رسوله صلى الله عليه وسلم، وابتعد عنه، ألا وهما:

الأمانة والخيانة، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**» أخرجه أبو داود (٣٥٣٥) .

فالأمانة شأنها عظيم تخلق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وكان يسمى: (**بالصادق الأمين**).

وحين بعثه الله عز وجل بنبوته ورسالته كان من أول ما دعا إليه الأمانة، ففي حديث أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه قُلْتُ: **يَقُولُ اعْبُدُوا الله وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ والصدق وَأداء الامانة**» متفق عليه واللفظ للبخاري .

---

[1] كان هذا المجلس في الثالث / من رمضان/ لعام ١٤٤١ .

وجاء عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال للنجاشي: «**يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ**» أخرجه أحمد (٢٣٧٠).

فملازمته الأمانة والأمر بها من أظهر علامات الإسلام فهو دين الأمانة، وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدَّثَنَا «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» أخرجه مسلم (١٤٣)

وكم هي الأحاديث الدالة على فضيلة هذه المزية وهذا الخلق الرفيع الذي يتميز به الكرماء.

وقد قال الله عز وجل مبينا شأن أمانة الدين ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ [الأحزاب:٧٢].

فالتوحيد أمانة فلا يجوز أن تصرف العبادات لغير الله عز وجل، وصرفها لغير الله خيانة.

والسنة أمانة فيجب أن تتعبد لله عز وجل بها، والتعبد بالبدعة خيانة، وهكذا الصلاة والصيام أمانة، أمنك الله هذه العبادات: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

والصيام أمانة فلا يراك أحد في خلوتك ومع ذلك تراقب الله عز وجل في هذه الشعيرة العظيمة، ومن الأمانات غسل الجنابة، و أن تصلي بوضوء وطهارة تامة ففي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: خمسٌ مَن جاء بهنَّ مع إيمانٍ دخَل الجنَّةَ مَن حافَظ على الصَّلواتِ الخمسِ على وضوئِهنَّ وركوعِهنَّ وسجودِهنَّ ومواقيتِهنَّ وصام رمضانَ وحجَّ البيتَ إن أستَطاع إليه سبيلًا وأعطى الزَّكاةَ طيِّبةً بها نفسُه وأدَّى الأمانةَ قيل: يا نبيَّ اللهِ وما أداءُ الأمانةِ؟ قال: الغسلُ من الجنابةِ إنَّ اللهَ لم يأمَنْ ابنَ آدمَ على شيءٍ من دينِه غيرِها» أخرجه أبو داود (٤٢٩).

ومن الأمانة أداء الحقوق إلى أصحابها كالوالدين والجيران والأرحام وغيرهم، قال الله {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المؤمنون: ٨].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم مما يضادها، وأخبر أن الخيانة صفة أهل النفاق والعياذ بالله أصحاب التلون ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» أخرجه مسلم (٥٩).

فالخيانة ظاهرة في المنافق، في دينه، ومعاملاته، وعباداته، وكلامه، وجميع شأنه.

وإذا رفعت الأمانة قامت الساعة ولا يبقى إلا الكفار الذين لا أمانة فيهم ففي البخاري(٥٩) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»

وعنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ...» أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦).

ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

فأي أمانة كلفت بها ينبغي أن تؤديها إلى أهلها، كاملة موفورة ولك من الله الأجر والثواب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الخَادِمِ الأَمِينَ المسلم الذي يؤدي ما وكل به له أجر» متفق عليه، مع أنه عبارة عن خادم، إما ابن

أو زوجة أو عبد، وقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة الجنة بالأمانة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**» أخرجه أحمد عن عبدالله بن عمرو.

ومن الأمانات رد اللقطة، فعن زيد بن خالد رضي الله عنه، قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن اللقطة، فقال: «**اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها، وإلا فشأنك بها**». قال: فضالة الغنم؟ قال: «**هي لك، أو لأخيك، أو للذئب**». قال: فضالة الإبل؟ قال: «**ما لك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها**» أخرجه البخاري أخرجه مسلم (١٧٢٢).

ومن الأمانات الأذان في الوقت، فعن أبي أمامة ﵁ قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ**" أخرجه أحمد (٢٢٢٣٨).

ومنها الأمانة في الشهادات، قال الله عز وجل: {**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ**} [البقرة: ٢٨٣] .

والأمانة صفة الكرماء ويتخلقون بها في جميع شأنهم. وقد كان العرب يتفاخرون بأداء الأمانة. أما الآن نسأل الله السلامة، فقد فشت الخيانة في كثير من الأمور، الخيانة بين الأزواج، والخيانة بين الجيران، والخيانة بين

الأرحام، والخيانة لدين رب العالمين، والخيانة للأمراء والحكام، والخيانة من الجميع إلا ما رحم ربي، فعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه أنه لَقِيَ نَاسًا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ مَرْوَانَ قَالَ: وَكُلُّ حَقٍّ رَأَيْتُمُوهُ تَكَلَّمْتُمْ بِهِ، وَأَعَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مُنْكَرٍ رَأَيْتُمُوهُ أَنْكَرْتُمُوهُ وَرَدَدْتُمُوهُ عَلَيْهِ، قَالُوا: لَا وَاللهِ، بَلْ يَقُولُ: مَا يُنْكَرُ، فَنَقُولُ: قَدْ أَصَبْتَ، أَصْلَحَكَ اللهُ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ قُلْنَا قَاتَلَهُ اللهُ، مَا أَظْلَمَهُ وَأَفْجَرَهُ قَالَ عَبْدُ اللهِ: " **كُنَّا بِعَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا لِمَنْ كَانَ هَكَذَا** " أخرجه الترمذي (٢٥٢٦) .

وقد حذر الله عز وجل من إضاعة الأمانة، ، لما في ذلك من الضرر العظيم، ومن ذلك أن أبناءك أمانة عندك، قال الله عزوجل: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٨]، فيجب أن تقوم على تربيتهم والإحسان إليهم، وأن تأكلهم الحلال الطيب، وتدعو لهم، وتترفق بهم.

وإذا كنت في جميع معاملاتك على الوجه الذي شرع الله فهذه هي الأمانة.

وما أحسن قول الشاعر:

أد الأمانة والخيانة فاجتنب *** واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

وقد توعد الله عز وجل الخائنين: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا الله مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

وقد وُصِفَ الله عز وجل بالكيد والمكر والاستهزاء والسخرية وغير ذلك من صفات المقابلة، لكن لما كان الخيانة صفة ذميمة قال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا الله مِن قَبْلُ﴾ ولم يقل يخنهم لأنه صفة ذميمة في جميع الأحوال لا تصدر إلا من لئيم فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَانِ قِطْرِيَّانِ غَلِيظَانِ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرِقَ، ثَقُلاَ عَلَيْهِ، فَقَدِمَ بَزٌّ مِنَ الشَّامِ لِفُلاَنٍ اليَهُودِيِّ، فَقُلْتُ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ، فَاشْتَرَيْتَ مِنْهُ ثَوْبَيْنِ إِلَى المَيْسَرَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ، إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي أَوْ بِدَرَاهِمِي، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَبَ، قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ الله، وَآدَاهُمْ لِلأَمَانَةِ» أخرجه الترمذي (١٢١٣) .

ومن أداء الأمانة حفظ الوصايا، والنبي صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة أخر علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرد الأمانات التي كانت عنده

والخيانة قد تكون حسية، وقد تكون معنوية، وربما كانت خيانته في عينه، وسمعه، وبصره وأكله وشربه ومعاملاته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» متفق عليه .

فعلى الإنسان إلا أن يتحلى بالأمانة وأن يتعود أدائها وإياها أن يفرط فيها، فإن المحافظة عليها من أعظم ما يقرب إلى الله عز وجل ، ومن أعظم الأمانات ما يقوم به الدعاة إلى الله عز وجل، فقد أمنهم الناس على دينهم فعليهم أن يوجهوا الناس إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، بدأً بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد، وهكذا الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة والتحذير من المعاصي والسيئات، ويحذر الدعاة من الغش في الدعوة إلى الله عز وجل فإن الخيانة فيها أعظم من أي خيانة، فإذا خان الداعي إلى الله المجتمع كان كاذبا على الله، وكاذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما وصل به الأمر إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال.

ومن الخيانة ما يصدر من التحذير من الدعاة إلى الله، فإن الدعاء إلى الله بشر يصيبون ويخطئون ويعلمون ويجهلون لكن ينبغي أن لا يحذر من سنة النبي صلى الله عليه وسلم بل يحث عليها، ويرغب فيها ويدعى إليها، ويثنى على حملتها، وكل ذلك من الأمانات، وقد تقدم أمر الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، فعلينا أن نؤدي الحقوق التي علينا ونطلب الحق الذي لنا بقدر استطاعتنا، وإلا فالإنسان مخاطب بأمر الله، والابتعاد عن نهيه، ولا يضره من ضل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فالمؤمن حقاً هو المؤتمن، فعن

فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "**الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ** " أخرجه الترمذي (٣٩٣٤) .

فتحلَّ بالأمانة لتصل دار الكرامة ❋❋ إن تكن منك الخيانة إنها حال المهانة

أسأل الله لي ولكم الرحمة والمغفرة.

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث: صلة الرحم وقطيعة الرحم[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

نذكر في هذا المجلس أمرين عظيمين جليلين متضادين:

أحدهما: سبب للسعادة، والآخر: من أسباب الشقاوة.

ألا وهما صلة وقطيعة الرحم، فصلة الرحم سبب لكل خير لأن صاحبها موصل من الله عز وجل، وقطيعة الرحم من أسباب الشر والضير، لأن صاحبها مقطوع من الله عز وجل.

والأدلة على ذلك كثيرة منها، ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِّ: «إِنَّ اللهَّ تَعالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قال: فذَلِكَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ: اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ◯ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾. [محمد:٢٢- ٢٣].»

[1] كان هذا المجلس في الرابع/ من شهر رمضان / لعام ١٤٤١ .

ومن وصله الله عز وجل وصله لكل خير، ومن قطعه الله عز وجل قطعه من كل خير، والله المستعان.

وفي "صحيح البخاري" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له فِي رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».

فمن أحب سعة الرزق فعليه أن يكون وصالا للرحم، ومن أحب طول الأجل على قول لأهل العلم وأن يكون مذكورا بالجميل فعليه بصلة الرحم.

وكان من مبادئ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بصلة الأرحام، كما في حديث أبي سفيان وقد تقدم **«يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة»**.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في طريق فجاءه رجل فأخذ بزمام ناقته، قَالَ: يَا رَسُولَ الله - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ**»، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعْبُدُ الله لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ**» الحديث في الصحيحين عن أبي أيوب رضي الله عنه.

وشاهدنا أنه ﷺ قرن صلة الرحم بالتوحيد والصلاة والزكاة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم وصالا للرحم قبل بعثته، ولهذا حين دخل على خديجة رضي الله عنها ترتجف بوادره قالت خديجة: «**كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ**»، وقد تقدم .

فصلة الرحم، شأنها عظيم اشتق الله اسمها من اسمه كما في حديث عائشة وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الرَّحِمُ شِجْنَةٌ فَمَن وصَلَها وَصِلُه، ومن قطَعَهَا قَطَعَه** ». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه].

وفي مسند أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: «**أنا الرحمن خلقت الرحم واشتقت لها من اسمي، فمن وصله وصلته ومن قطعه بتته**» ويقول النبي ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**» أي: رحم كما في "الصحيحين" من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

و قطيعة الأرحام سبب لكثير من البلاء الذي يحصل للناس، ففي حديث أبي بكرة رضي الله عنه: «**ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدِّخر له في الآخرةِ مثل البغيِ وقطيعةِ الرحمِ**» أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد.

ونحن في آخر الزمن وقد تنافرت القلوب، وقطعت الأرحام ووقعت بينها العداوات والبغضاء والقتال وسفكت الدماء وغير ذلك.

فيجب أن يكون الإنسان واصلا لرحمه وإن فرطوا في حقه، في "صحيح البخاري" عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ليس الواصلُ بالمكافِئ ولكنَّ الواصِلَ الذي إذا انقطعتْ رحمُه وصلَها».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة: أَنَّ رجلًا قَالَ: يَا رَسُول اللهَّ، إِنَّ لِي قَرابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِم وَيُسِيئُونَ إِليَّ، وأَحْلُمُ عنهُمْ وَيَجْهَلُونَ عليَّ، فقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ -أي بالرماد الحار- وَلا يَزَالُ معكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلكَ.

فأنت منصور ما دمت واصلاً لرحمك متقربا منهم باذلاً لهم محسناً إليهم وإن جفوك أن الله عز وجل يعينك وينصرك .

وهذا دليل على أن صلة الرحم من أعظم أسباب رضا الرب سبحانه وتعالى، ومن أعظم أسباب الحسنات والمكرومات في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فعلى الإنسان أن يكون وصَّالاً للرحم وليست الصلة أن تعطيهم المال فقد يكون الرحم غنيا، وليس القصد من الصلة أن تذهب إليه بالزيارة فقد يكون بجانبك وتراه في ليله ونهاره وتكون القطيعة حاصلة ولكن المراد ما يقع بين الأرحام من التواصل والتصافي وسلامة القلوب وبذل الإحسان والتفقد لحوائجهم وغير ذلك مما ينوبهم فإن الإنسان بطبيعته لا يستغني عن أخيه:

الناس للناس من بدو وحاضرة ** بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وينبغي أن يكون إحسانك إلى ذي رحمك أكثر من إحسانك إلى غيرهم لأن الله وصى بذلك وأمر بذلك، وكم من إنسان مع غير رحمه على أحسن حال في كلامه وحديثه وبذله وعطائه وتواصله، ومع رحمه التهاجر والتقاطع والتدابر والسبب أنهم اختلفوا من أجل أرض أو بيت أو مدخل أو مخرج أو غير ذلك لأن الرحم تقع بينها المخالطة كثيرا، فأنت مأمور بالصلة، ولست مأمورا بالتنافر وإن وقع ما وقع، ولدوام الصلة عليك أن تكون صاحب عفو وصفح وتجاوز.

فهذا حق عظيم ينبغي أن نأتي به فصلة الأرحام سبب لصلة الله ولا سواء ففضل الله واسع فأنت حين تصل رحمك تصل مخلوقاً مثلك امرأة،



رجلاً، عماً، خالاً، ونحو ذلك فيصلك الله الخالق المالك، بخيره وفضله واستجابة دعائك وتفريج كربتك وإصلاح حالك إلى غير ذلك.

في قول الله عز وجل: "ومن قطعها قطعته"، أي يقطع الله، وإذا قطعه الله قطع عنه أسباب الخير، قال تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ الله وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ١٩ - ٢٥].

فهؤلاء وعدوا بالجنة، لأنهم وصلوا ما أمر الله به أن يوصل، وأولئك قطعوا ما أمر الله له أن يوصل فقطعهم الله ولعنهم فلا بركة في أعمارهم ولا في أموالهم جميع شأنهم.

ومن أعظم أسباب القطعة البخل، فعن عبدِ الله بن عمرو، قال: خَطَبَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - فقال: **"إيَّاكم والشُّحَّ، فإنما هَلَكَ مَن كان قَبلَكم بالشُّحِّ: أمرهم بالبُخلِ فبَخِلُوا، وأمرَهم بالقَطيعةِ فقَطَعُوا، وأمرَهم بالفُجُور ففَجَرُوا"** أخرجه أبو داود (١٦٩٨) .

فعلينا عباد الله بصلة الأرحام والإحسان إليهم والتلطف بهم والعفو والصفح عنهم، حتى إن أساءوا وإن أسأنا إليهم علينا أن نبادر إلى التوبة إلى الله عز وجل، والتصافي والتسامح، وربما تكون الرحم إلى الجد السادس وأكثر، ففي "الصحيحين" عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانَ أبو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدِينَةِ مَالًا مِن نَخْلٍ، وكانَ أحَبُّ أمْوَالِهِ إلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكانَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هذِه الآيَةُ: **﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران:٩٢] قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: يا رَسولَ الله، إنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى يقولُ: **﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران:٩٢] وإنَّ أحَبَّ أمْوَالِي إلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لله، أرْجُو بِرَّهَا وذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا يا رَسولَ الله حَيْثُ أرَاكَ الله، قَالَ: فَقَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **بَخٍ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في**

الأَقْرَبِينَ فَقَالَ أبو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رَسولَ الله، فَقَسَمَهَا أبو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ. فأعطاها لحسان بن ثابت. وكانوا يشتركون في الجد السادس .

فيجب علينا أن نأدي حقوق التي تجب علينا فإن الله «أعطى كل ذي حق حقه» كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فالحذر الحذر من قطيعة الأرحام فإنها تكثر قبل قيام الساعة، ففي المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **" وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمُجَاوَرَةِ، وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ "**، والله المستعان، وعليه التكلان.

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الرابع: التوحيد والشرك[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

نذكر في هذا الموطن أمرين على أحدهما مدار سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

وعلى الآخر مدار شقاوة العبد في الدنيا والآخرة.

ألا وهما التوحيد والشرك.

التوحيد الذي من أجله خلق الله الخليقه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾. التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾.

[1] كانت هذه المذاكرة في الخامس / من رمضان / لعام ١٤٤١ .

التوحيد الذي من أجله شرع الله عز وجل الجهاد، قال الله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)﴾.

التوحيد الذي هو رأس الفضائل، فعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ «الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعْبة، فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان».

التوحيد الذي من مات عليه دخل الجنة، قال الله عز وجل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ﴾ وعنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ». أخرجه مسلم، وعن معاذِ بن جبل، قال: قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم-: "من كان آخرُ كلامهِ لا إله إلا اللهُ دخل الجنة" أخرجه أبو داود (٣١١٦)، وفي سنده صالحُ بن أبي عَرِيبٍ لكنه في الباب .

التوحيد الذي هو أعظم ما يؤدي إلى شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، بل لا شفاعة لغير موحد، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾. وفي حديث: أبي هريرة رضي الله عنه

عند "البخاري" قَالَ: يا رَسولَ الله مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِك يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لا يَسْأَلُنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ».

التوحيد الذي لا يدخل الجنة إلا أهله، في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي: «وَالذِّي نَفْسِي بِيَدِه لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»، في أدلة كثيرة في الباب .

وأول ما بدأ به رسول الله ﷺ في دعوته التوحيد، فكان رسول الله ﷺ يسير في الأسواق ذي المجاز، والمجنة وعكاظ والموسم يعرض نفسه على قبائل العرب يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

وقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أُمِرتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَقُولُوا لاَ إِلهَ إِلاَّ الله فَمَنْ قَالَهَا، فقَدْ عَصَمَ مِني مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّه، وَحِسَابُهُ عَلى الله» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه.

و وعن طارق بن أشيم قال النبي ﷺ: «مَن قالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مَن دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ علَى الله» أخرجه مسلم.

التوحيد حسنته لا تحبط إلا بالشرك، وإلا فهو أعظم حسنة، قال الله عز وجل: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٨١]، والسيئة هنا الشرك، كما هو تفسير السلف.

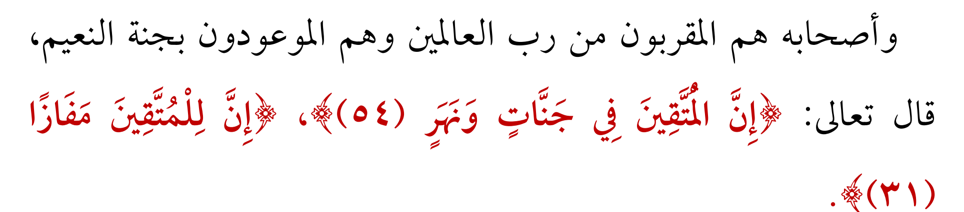
وفي حديث عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، قَال: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، ولَا يَثْقُلُ شَيْءٌ مع اسْمِ الله»

والتوحيد أصحابه هم الكرام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وأصحابه هم أولياء الله، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾.







وأصحابه هم المقربون من رب العالمين وهم الموعودون بجنة النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤)﴾، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١)﴾.

والتوحيد من أتى به على وجهه يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية ففي حديث عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ الله وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ» متفق عليه.

وفضائله عظيمة فهو حق الله المقدم وحقه المعظم، ففي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟» قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا الله وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا» متفق عليه .

فشأن التوحيد عظيم، فعن جابر رضي الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجلاً فقال يا رسول الله ما الموجبتان فقال النبي ﷺ: «مَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن ماتَ يُشْرِكُ باللهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ» أخرجه مسلم .

فعلى الإنسان أن يتعلم هذا الباب العظيم، وأن يكون موحدا لله بقلبه، وقوله، وجوارحه، وفي جميع شأنه، فإن الله عز وجل أمر بهذا ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ .

لأن الشرك محبط للعمل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تركته وشركه».

إذ أن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له وحده، ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾.

راقب أقوالك، وأفعالك ونياتك فربما تتكلم بمخالفة التوحيد وأنت لا تدري، وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة يقولون: (ما شاء الله وشاء محمد)، فَقَالَ: "قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ"، وكثير من الناس

"أمانة" والنبي ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا». رواه أبو داود في "سننه" عن بريدة رضي الله عنه.

فراجع اعتقاداتك وليكن اعتمادك وتوكلك على الله، وليكن رجاءك ورغبتك في الله، وراجع أفعالك من صلاة وحج وطواف وذبح ونذر. يجب أن تكون كلها لله عز وجل فلا يجوز أن يشرك معه غيره لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وجميع ما يتعين عليك لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وأما الشرك فخطره عظيم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾.

فالشرك أعظم ذنب عصي الله عز وجل به، ولذلك لا يغفره ولا يتجاوز عن أهله إلا بتوبة نصوحا، قبل موتهم. قال الله عز وجل: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]، ويدخل في عموم الآية الشرك الأكبر والأصغر، إلا أن الشرك الأكبر مخلد صاحبه في النار، والأصغر يعذب بقدر شركه، ثم يكون إلى الجنة .

قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾، وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: يا رسول الله! أيُّ الذنبِ أعظمُ قال : «أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقكَ» متفق عليه .

فالشرك أردى أهله وأخزاهم، في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهم شر البرية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد: ١٢]، فهم في الدنيا كالأنعام السائبة التي لا تعرف لنفسها مصلحة ولا مضره ولا يهمها إلا أن تأكل وتشرب وتتنعم.

وهم في الآخرة في النار ﴿يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)﴾، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾، وقال الله عز وجل:



﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى (١٣)﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾.

وقال تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: ١٩ – ٢٢]

والشرك قسمان: أكبر يخلد صاحبه في النار، وأصغر يستوجب صاحبه النار ولا يمكن أن يدخل الجنة حتى يعذب على شركه، ومن أعظم أسباب الشرك: الكبر، قال تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٤٦].

وقد استكبر الكفار عن قول لا إله إلا الله، فما أفلحوا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾.

والمشكلة أن الشيطان جعل طرقا إلى الشرك وزينها، فعظم لهم شأن الصالحين، وجعل تشييد القباب، وزيارتها، والطواف بها، والدعاء، والنذر لها من التوحيد، ومن تعظيم الأولياء وما هو إلا مخالفة صريحة لدين رب العالمين، إذ يقول: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا} [الجن: ١٨] ولأمر سيد المرسلين ﷺ إذ يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» أخرجه مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قَبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكم تبلغُني حَيثُ كنتُمْ» أخرجه أبو داود (٢٠٤٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحذر ما صنعوا» متفق عليه، وفي حديث جندب رضي الله عنه « أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» أخرجه مسلم (٥٣٢).

ومن وسائل الشرك العبادة في أماكن الزور والقبور، وهذا إذا كنت لله تذبح وتنذر وتصلي عند القبر لله فأنت متشبه بهؤلاء الملعونين، فكيف بمن

صلاته وحجه ونذره ودعائه للقبر، وكيف بمن رجاؤه ورغبته وخوفه من القبر، وهكذا نذره، وذبيحته للقبر، فلا شك أن هذا مشرك شركاً أكبر مخرج من الملة.

وقد انتشر هذا البلاء في بلاد المسلمين، وعم وطم لا سيما مع وجود أهل الضلال من غلاة الصوفية والباطنية والرافضة عباد القبور فينبغي للمسلمين أن يتعلموا التوحيد، وأن يحذروا الشرك، والكفر، والتنديد، فإنه والله لا رفعة ولا سعادة لهذه الأمة إلا بتعظيم حق رب العالمين، والبعد عن طرق الشياطين، قال تعالى: {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥]، والبعد عن وسائل الشرك من تصوير ذوات الأرواح، وشد الرحال إلى القبور والمشاهد، والغلو في الصالحين، وغير ذلك من الوسائل، والله المستعان، الحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس: السنة والبدعة[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

سيكون الكلام في هذا المجلس عن أمرين مهملين:

أحدهما يصل به الإنسان إلى الجنة، لأنه سبيل الله عز وجل، والآخر يستحق به النار، لأنه سبيل الشيطان .

والناس بين هذا وهذا إما أن يكون الإنسان مطبقا لأمر الله عز وجل، وأمر رسوله ﷺ، ظاهراً باطناً، فهذا هو الموفق للخير العظيم، أو يكون بعيدا عن أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ، وهذا هو المخذول من رب العالمين، والله المستعان .

ألا وهما: السنة والبدعة.

فالسنة هي طريق النبي ﷺ القولية والفعلية والاعتقادية، فإن الله عز وجل أرسل رسله، وأنزل كتبه، وأمر باتباعها، فقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾.

---

[1] كان هذا المجلس في السادس / من رمضان / لعام ١٤٤١ .

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (٢١)﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ۖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ﴾، الحكمة هي السنة.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤).

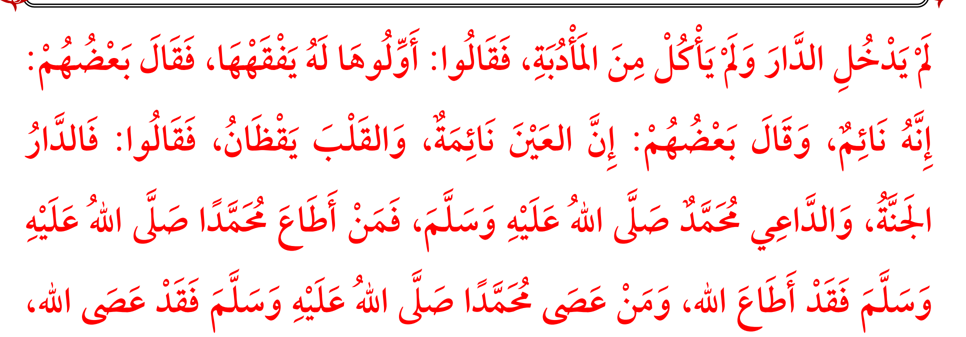
وقد بعث الله محمداً ﷺ رسولاً ونبياً وأمرنا باتباعه وحذرنا من مخالفته، فقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٦)﴾.

وقد حث النبي ﷺ ورغب في هذا السبيل، ففي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى» قِيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «منْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومنْ عصَانِي فَقَدْ أَبَي».

وفي "سنن أبي داود" وغيره، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتقْوى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشِيٌّ، وَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيرى اخْتِلافاً كثِيرا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّنَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال " جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ



لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ" .

وكان يكرر في خطبه «فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدَى هديُ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».

والمتابعون والمتمسكون بسنة النبي ﷺ موعودون من الله عز وجل بالخير العظيم، وذلك أنهم يحشرون في زمرة النبي ﷺ، وتنالهم شفاعته، ويكرمون على كل عمل يعملونه بأجرين، أجر المتابعة، وأجر الطاعة.

وفي "الصحيحين" عَنْ أَنَسٍ رضِي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»، وفي مسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ

رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ" .

وقال رسول الله ﷺ مبينا أن القرآن والسنة كلاهما وحي من الله يجب الأخذ بهما: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) عن المقدام بن المعدي كرب.

وقد علم عند السلف أن التمسك بالسنة نجاة ولذلك قالوا "السنة كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تركها غرق".

وقال الزهري أدركت كثيرا من علماءنا يقولون التسمك بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضا سريعا وبانتعاش العلم انتعاش الدنيا والدين» أخرجه الدارمي في مقدمة سننه .

وقال أبو عمر الداني:

تدري أخي أين طريق الجنة**طريقها الكتاب ثم السنة

وكانوا يختبرون صلاح الإنسان من عدمه بالسنة، فمن كان على السنة فهو الصالح ومن لم يكن على السنة وإن صلى وصام حتى وإن مشى في الهواء كانوا يتهمونه في شأنه، فالشأن يعود إلى امتثال الكتاب والسنة.



لأن الله عز وجل فرض ما فرض وشرع ما شرع للاختبار والابتلاء، قال الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾، أي خير عملاً، كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل أكثر عملاً كما في تفسير ابن كثير .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أحسن عملاً» أخلصه وأصوبه، وقال العمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً صواباً، الخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة، كما في تفسير البغوي .

والاستقامة على السنة من أعظم المطالب، قال حذيفة قَالَ: «يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا» أخرجه البخاري .

وقد صنف العلماء كتباً في الحث على السنة والترغيب فيها، إذ لا سبيل إلى عبادة الله عز وجل على الوجه الذي أمر به وشرع إلا بمتابعة النبي ﷺ.

وأما البدعة فهي التعبد لله عز وجل على غير مثال سابق، أو هي الدين الذي لم يشرعه الله عز وجل .

وقد جاء في ذمها الشيء الكثير من الآيات والأحاديث والآثار وقد صنفت المصنفات في التحذير منها لخطرها ولعظيم شرها، ولقبيح ضررها فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ» أخرجه ابن أبي عاصم.

وفي "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وتقدم حديث أنس رضي الله عنه: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، وقد تقدم أيضاً حديث العرباض: «فإن كل بدعة ضلالة»، وكل من ألفاظ العموم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم".

وعن عمر بن عبد العزيز: أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ الله - عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا - وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ مَنْ قَدْ عَلِمَ مِنْ - الخطأ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ

مَحْسَرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ . أخرجه أبو داود .

وقد بين النبي ﷺ مبينا أن أصل البدعة والفرقة طريق اليهود والنصارى فعن أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود: «افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقة، وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً، وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً - زاد في حديث معاوية - كلُّها في النَّارِ إلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْم وَأَصْحَابِي».

وعَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ».

وفي "صحيح مسلم" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

فالحذر الحذر من البدع، فإنها قد تنوعت وانتشرت، سواء في ذلك البدع القولية: كالقراءة الجماعية والأذكار الجماعية والدعوات البدعية وغير ذلك مما يفعله الناس.

أو البدع الفعلية كالذبح لغير الله والنذر لغير الله والطواف بالقبور والتمسح بأتربتها.

والبدع الاعتقادية كاعتقادات الحزبية، واعتقادات الصوفية، واعتقادات الرافضة والشيعة، واعتقادات الجهمية ومن إليهم الذين خالفوا شرع الله، وسنة رسول الله ﷺ.

والبدعة بدعتان:

بدعة مكفرة، كبدعة التجهم والرفض والباطنية والحلولية، وعباد القبور من الصوفية، حيث أحدثوا في دين الله ما ينقضه، والله المستعان .

الثانية: بدعة مفسقة كبدعة المولد والأذكار الجماعية والحزبية وما إليه من البدع .

قال يوسف بن أسباط كما في الشريعة للآجري (١/ ٣٠٤):

" أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا النَّاجِيَةُ» اهـ ، فتشعبت من هذه البدع بدعٌ كثيرة حتى بلغت اثنين وسبعين بدعة وزد على ذلك أن كل بدعة تتشعب إلى ما شاء الله بسبب بعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

والمبتدع مستدرك على الله إما بلسان حاله أو مقاله أو بهما ، كأنه يقول: لن أكتفي بما جاء به القرآن وما جاء في سنة النبي عليه الصلاة والسلام

حتى أزيد عليه من أقوال أئمتنا، وهذا اتهام للإسلام بعدم التمام، وطعن في حكمة الملك العلام، وإزراء بالنبي عليه الصلاة والسلام، وبصحابته الأئمة الأعلام .

قال سفيان: **« وجدنا الأمر كله في الاتباع»** أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه.

فالدين هذا مبني على الاتباع فمن كان متبعا لأمر الله وأمر رسول الله ﷺ فهو السني الموفق وإن قلَّ عمله.

ومن كان مبتدعا ومخالفا لسنة رسول الله ﷺ فهو المبتدع الضال وإن كثر عمله.

فالأمر لا يعود إلى كثرة العمل من قلته، فإن النصارى قد أوجبوا على أنفسهم ما لم يوجب الله وصار منهم الرهبان في الصوامع والحال كما قال الله عز وجل: **﴿ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾** ومع ذلك ضلوا ضلالا بعيدا.

ولهذا قال سفيان بن عيينة: : **من فسد من علماءنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى.**

وقد أمرنا الله عز وجل أن ندعوا بقوله **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** وهم أهل الاستقامة أهل الإسلام أهل

السنة، قال الله عز وجل عنهم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ وهم النصارى.

وكل مبتدع له حظٌ من الضلال وحظٌ من الغضب. والله المستعان.

فعلى الإنسان أن يتقي الله عز وجل في نفسه وأن يأخذ دينه من كتاب الله ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ على منهج السلف الصالحين، فإن ذلك سبب الرفعة في الدارين، وسبب العز، والتمكين.

وفي حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُم عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ" أخرجه أحمد

فهذه البشارة لمن سار على سير رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله واعتقاداته، فإن الله عز وجل يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.

ويقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

قال ابن سيرين **"إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم"** أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.

وقد وعد رسول الله ﷺ ببقاء طائفة على السنة لا تتغير ولا تتبدل مهما فعل المخالفون وكثر المبطلون فقال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» أخرجه مسلم (١٥٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

ومع ذلك قد انتشرت البدع في الأقوال والأفعال والعبادات والمعاملات ولم يسلم إلا من سلمه الله، فينبغي للمسلم أن يكون عائدا وسائلا ومسترشدا ومتمسكا بما جاء عن الله، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ على طريقة السلف الصالحين، فإن النبي ﷺ «**تركنا على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء** » لا يلتبس من أمرها إلا على مخذول فعليك بفهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن إليهم من التابعين والأئمة المهتدين إلى يومنا هذا. فعن أبي هريرةَ عن رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم- قال: **"إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مِئة سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دينَها"** أخرجه أبو داود (٤٢٩١) .

وذلك حتى لا تغطي البدعة الناس، ويصبح الناس لا يعرفون الحق من الباطل والهدى من الضلال والنور من الظلمة والتوحيد من الشرك والسنة

من البدعة فلا بد أن تقام حجة الله، الرسالية على العباد ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾.

فاحمدوا الله عز وجل فيكثر العلم وينتشر ويعمل به ويرفع الجهل وينكسر، وهذا بفضل الله عز وجل يا أهل اليمن على ما منَّ عليكم، هذه الدعوة المباركة، دعوة أهل السنة والجماعة، يخرجون العباد من عبادة العباد بدعوتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا تعلق بقبر ولا وثن ولا ساحر ولا كاهن ولا عراف ولا شيء من ذلك. وإنما التعلق بالله عز وجل ولا متابعة لشيخ أو لفلان أو علان إلا لسنة رسول الله ﷺ . وحب ما أحب الله عز وجل وما أحب رسوله ﷺ . وبغض ما أبغض الله عز وجل وما أبغضه رسوله ﷺ ، فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم.

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ فِي وَسَطِ الخَطِّ خطًّا وَخَطَّ خَارِجًا مِنَ الخَطِّ خطًّا وَحَوْلَ الَّذِي فِي الوَسَطِ خُطُوطًا فَقَالَ: هَذَا ابْنُ آدَمَ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ الإِنْسَانُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ عُرُوضُهُ إِنْ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا، وَالخَطُّ الخَارِجُ الأَمَلُ» أخرجه الترمذي .

واعلم أن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لعظيم ضررها، ونوصي أنفسنا بوصية أبي بكر بن أبي داود:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى**ولا تك بدعياً لعلك تفلحُ

والحمد لله رب العالمين .

المجلس السادس: الكرم والبخل[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فينقسم الناس من حيث العطاء من منعه إلى صنفين، أحدهما في قمة المدح والآخر في أدنى الذم، ألا وهما: الكرم والبخل.

واعلم يا عبد الله أن الله عز وجل قد اتصف بصفة الكرم، كما سمى نفسه: الكريم. لأنه اسم مدح وكمال وتضمن صفة مدح وكمال، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦]، وهو الأكرم سبحانه وتعالى، قال تعالى: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: ٣]، فهو الكريم في صفاته والكريم في أفعاله .

فمن كرمه أنه ينفق على عباده ومخلوقاته، ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

---

[1] وكانت في السابع / من شهر رمضان / لعام ١٤٤١.

وقد نزه الله عز وجل نفسه عما وصفه به اليهود من قولهم بأن يده مغلولة حيث قالوا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ﴾.

فهو سبحانه الغني الكريم، ففي "صحيح مسلم" عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

وكان نبينا ﷺ، متحليا بهذا الخلق العظيم، وكيف لا وخلقه القرآن، وكيف لا وهو أحسن الناس خلقاً، بل بلغ من شأنه ﷺ أنه ما سئل شيء فقال: لا.

وفي غزوة حنين حين منَّ الله عليه بما منَّ من الغنائم فربما أعطى الرجل الغنم بين جبلين، وأعطى صفوان بن أمية ثلاثة مائة من الإبل، وأعطى الأقرع مائة بن حابس، ومرداس الأسلمي، وعيينة بن حصن مائة من الإبل، كل واحد مئة من الإبل، فكان ﷺ جوادا كريما.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ

قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» اجتمع عليه الناس يسألونه ويلحفون له، فقال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم» أخرجه مسلم.

وقد تخلق بهذا الخلق العظيم صفوة الناس بعد الأنبياء والمرسلين.

فها هو أبو بكر رضي الله عنه، ينفق ماله في سبيل الله، وعمر رضي الله عنه ينفق نصف ماله في سبيل الله، وعثمان بن عفان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة وغير ذلك، فكانوا رضوان الله عليهم كرماء يحبون البذل والعطاء، كما يحب أحدنا الجمع والنماء، فلا سواء بيننا وبينهم، إذ أن الله عز وجل أكرمهم لنصرة نبيه لعلمه بأحوالهم، وصفاء أقوالهم، وجميع حالاتهم.

فالكرم صفة ممدوحة عند الناس، وقد امتدح الناس حاتم الطائي مع كفره، بسبب كرمه ومع ذلك تجد أن بعضهم يقول: أكرم العرب حاتم الطائي. وهذا غلط.

فإن أكرم العرب بل والناس مطلقا هو رسول الله ﷺ، ومن سار على سيره ممن بذلوا أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتأسيا برسول الله ﷺ.

إن الكرم قد يكون جبليا، بحيث أن الإنسان ينشأ عليه ويحب البذل والعطاء جبلة، وقد يكون مكتسبا، بحيث أنه يتحلى به لما يرى في الأدلة

القرآنية والأحاديث النبوية من الحث عليه والترغيب فيه، فكم فيها من الأدلة في الحث على الإنفاق والبذل في أوجه الخير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». أخرجه البخاري وأعظم الكرام إيصال الحقوق إلى أهلها .

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ، فَلَا يُنْفِقُ مِنْهَا إِلَّا اتَّسَعَتْ حَلَقَةٌ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ، فَإِنَّهَا لَا تَزْدَادُ عَلَيْهِ إِلَّا اسْتِحْكَامًا ».

قال ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٣٥)

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا الفانية وعلم زوالها عنه وانقلابها إلى غيره وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا مَا قدم من الأعمال الصالحة أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله والقيام بالواجب في أسبابه مبتغيا بذلك الثواب في العقبى والذكر الجميل في الدنيا إذ السخاء محبة ومحمدة كما أن البخل مذمة ومبغضة ولا خير في المال إلا مع الجود كما لا خير في المنطق إلا مع المخبر، ولقد أنشدني المنتصر بْن بلال الأنصاري:

الجود مكرمة والبخل مبغضة ❊❊ لا يستوي البخل عند الله والجود

والفقر فيه شخوص والغنى دعة*والناس في المال مرزوق ومحدود

.اهـ

وأما البخل، فهو صفة ذميمة قال عنها الإمام أحمد: (لا يجتمع الصلاح والبخل أبدا).

فلا يمكن أن يكون الرجل صالحا بخيلا. لأن البخل ينشأ عن سوء ظن بالله، وعن بعد عن امتثال سنة رسول الله ﷺ، عن جابرٍ : أَنَّ رَسُول الله ﷺ قالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». والشح شدة البخل.

فما نرى مما وقع بالأمة من القتل والقتال، ومنع المواريث والحقوق سببه البخل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «شرُّ ما في الرجلِ شُحٌّ هالِعٌ وجُبنٌ خالِعٌ» أخرجه أحمد (٨٠١٠).

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)﴾.

وكثير من الناس يمنعون ما أوجب الله عز وجل عليهم بسبب البخل والشح، وكان الواجب أن يتخلقوا بما تخلق به رسول الله ﷺ من البذل

والعطاء، سواء على الأهل والأبناء، أو على غيرهم من المحتاجين والفقراء، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: هِنْد يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِيَّ؟ قَالَ: «خُذِي بِالْمَعْرُوفِ» متفق عليه .

وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ» أخرجه أبو داود عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه .

لأن البخل والجبن خلقان سيئان، ينتجان عن ضعف الإيمان بالقدر، وعن ضعف التوكل، وضعف الشجاعة، وهو ناتج عن ضعف كثير من مكارم الأخلاق. فينبغي للمسلم أن يكون كريما في قوله فلا يتكلم إلا بالحق وما كان من المعروف .

وأن يكون كريما في اعتقاداته فيتجنب الظنون السيئة واعتقادات الفاسدة.

وأن يكون كريما في فعله فلا يتخلق إلا بالأخلاق الطيبة الكريمة المحبوبة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ وأن يكون كريما في نفقته وبذله .

ولا يتعارض الكرم مع عدم الإسراف، فإن الإسراف مجاوزة المشروع في النفقة، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾. فمن أنفق ما أوجب الله عليه وشرع له، وعليه أن يكون بعيدا عن صفة

البخل التي كفى بها مذمة أنها خلق المنافقين، والكافرين واليهود يذم زوجته على حنثه له على البخل، وقد قال بعضهم:

مهلاً نُوارًا قَلي اللُّوم والعَذلا=وَلا تَقولي لِشَيءٍ فاتَ ما فَعَلا

يَرى البَخيلُ سَبيلَ المالِ واحِدَةً=إِنَّ الجَوادَ يَرى في مالِهِ سُبُلا

فالكريم يرى أن المال ينبغي أن يبذل في طاعة الله عز وجل، فيصل به الرحم، ويطعم به الفقير، ويوسع به على الأبناء، ويأدي الزكاة المفروضة، ويبادر إلى الصدقات المندوبة وقد أحسن من قال:

(أنت للمال إذا أمسكته=وإذا أنفقته فالمال لك).

وكان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، لا سيما في رمضان، فينبغي للإنسان إن كان لله عليه حق من زكاة ونحوها أن يبادر بها، فإن ذلك من الواجبات، وقد سئل النبي ﷺ: أَيّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ فَعَلَى أَهْل بَيْتِك فَإِنْ فَضَلَ شَيْء فَلِذِي قَرَابَتِكَ» أخرجه مسلم (٩٩٧) عن جابر رضي الله عنه.

وبالله كم للصدقات من فضائل، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ» متفق عليه .

إن ما ترون مما حل بالأمة من الدمار والبلاء بسبب فشو الربا فإن سببه العظيم البخل، وكثير من الناس دخلوا في الربا والميسر والقمار والشر العظيم في الأموال بسبب البخل والشح فعاقبهم الله عز وجل بأن سلبها منهم وقلت بركاتها، وذهب خيرها، قال رسول الله ﷺ: **"مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ"** أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فعلى المرء أن يكون متحليا بالكرم لما فيه من الشمائل والخصال الحميدة، ولو لم يكن إلا أنه يتخلق بمقتضى صفات الله عز وجل وبسنة رسول الله ﷺ وأن يكون متوكلا ومعتمدا على الله عز وجل وأن يكون محبا لغيره يعني باذلا في تقريب القلوب إلى نفسه إلى غير ذلك من فوائد الكرم العظيمة وأن يكون بعيدا عن الشح والبخل فإن سببه ضيق الصدر عن الخير، وضعف التوكل، وضعف اليقين والجبن والخوف والهلع على المال الذي إنما خلقه الله عز وجل لاستمتاع الإنسان، على الوجه المشروع فمن كان بخيلا ممسكا مانعا فحاله كما قال تعالى: **{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}** [التوبة: ٣٤، ٣٥]، وقال: **﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ**

اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه: "إِنَّ الَّذِي لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ يُمَثِّلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، ثُمَّ يَلْزَمُهُ يُطَوِّقُهُ يَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ، أَنَا كَنْزُكَ " متفق عليه .

فنسأل الله عز وجل أن يغنينا من فضله، وأن يرزقنا الأخلاق الحميدة، ونقول ما قاله النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَدْوَاءِ». ونقول أيضا: اللهم اهدنا إلى أحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

والحمد لله رب العالمين.

المجلس السابع: العدل والظلم[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فنذكر في هذا المجلس خلقين متضادين؛ أحدهما سبب للرفعة في الدارين، والآخر سبب للضعف في الحالين.

الأول: العدل، حيث أمر الله عز وجل به، وحث ورغب عليه، بل إن الله عز وجل متصف بهذه الصفة العظيمة، قال عز وجل: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾، ومعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الصفات السلبية المنفية تتضمن في حق الله عز وجل كمال الضد، فانتفى عنه الظلم لكمال عدله، وهذا معلوم ضرورة.

وكان النبي ﷺ في هذا الباب، وجميع أبواب البر، على جانب عظيم من حسن الخلق، فكان يكره الظلم ويحذر منه، ويدعو إلى إقامة العدل بدأ بالتوحيد وما يليه من أبواب الخير والصلاح، قال تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف: ٢٩].

[1] كان هذا المجلس في التاسع / من شهر رمضان / لعام ١٤٤١ .

وقد قال ﷺ: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" .

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾.

يوقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللهِ﴾ الآية.

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)﴾.

فالعدل مطلوب، وبه تقوم السماوات والأراضين، ولإظهار عدل الله عز وجل نصبت يوم القيامة الموازين،.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ : «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم: «إمامٌ عادلٌ ... الحديث »، متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا». أخرجه مسلم في "صحيحه".

وقال عمار: ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: «بذل السلام للعالم، والإنصاف من نفسك، والإنفاق من الأكتار» علقه البخاري في صحيحه.

وعَنْ عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**» أخرجه مسلم .

وقد أمر الله عز وجل بالعدل حتى بين الزوجات فضلا عن غيرهن، قال تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)**﴾. فإذا خشي الإنسان على نفسه الجور حرم عليه أن يعدد لأن ذلك يؤدي إلى الظلم، وفي الحديث: "**مَن كانت له امرأتانِ، فمال إلى إحداهما جاء يَومَ القيامَةِ وشِقُّه مَائِلٌ**" أخرجه أبو داود (٢١٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأمر النبي ﷺ بالعدل بين الأبناء. فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: نَحَلَنِي أَبِي نُحْلًا، ثُمَّ أَتَى بِي إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ، فَقَالَ: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَهُ هَذَا؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمُ الْبِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ ذَا؟**» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «**فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ**»، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِ مُحَمَّدًا، فَقَالَ: إِنَّمَا تَحَدَّثْنَا أَنَّهُ قَالَ: «**قَارِبُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**» متفق عليه.

ثم إن الإسلام دين العدل، ويدعوا إليه، ويرغب فيه.

وأذكر هنا تنبيهاً وهو أن هنالك فرق بين العدل والمساواة، فالمساواة قد تمنع في بعض الصور بل إن القول بها يناقض العدل ويخالفه، فلا تجوز المساواة بين الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾، ولا بين العالم والجاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾، ولا بين المؤمن والكافر، قال تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم: ٣٥، ٣٦] في أمور كثيرة.

والعدل أن يعطى كل ذي حق حقه على الوجه الذي شرعه الله عز وجل، فإن خالف ذلك فظلم.

والعادل يرجى أن تستجاب دعوته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رواه الترمذي (٢٥٢٥).

فدعوته مستجابة، وعمله بإذن الله تعالى مقبول، وفعله ممدوح عند القاصي والدان، ففي مسلم عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ

وَيَلْعَنُونَكُمْ» ، وهذا لا يكون إلا في حق من كان عادلا، فإن من لازم العدل عرف وشهر به، وكان عفيفا بعيدا عن المظالم، سواء المالية، أو العلمية، أو العملية، فمن طبق العدل على نفسه وغيره استقام حاله، ودنياه وأخراه .

فعن أبي أمامة قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَالله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ». [أخرجه أحمد في مسنده].

فالشاهد أن العدل يلزم أن يكون في جميع الأبواب، فكما تحب أن لا تكون مظلوما فلا تكن ظالما، وكما تحب أن لا يؤخذ مالك فلا تكن سارقا، وكما تحب أن لا يزنى بأهلك فلا تكن زانيا، وكما تحب أن لا تسب وتقذف

في عرضك فلا تكن سابا ولا قاذفا، فالأمر يعود إلى العدل في جميع الأبواب، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: « فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» أخرجه مسلم.

فكما تحب أن يؤدى إليك الخير ويكف عنك الشر والضير فكن كذلك مع الناس.

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي اللهّ عنه:

أد الأمانة والخيانة فاجتنب**واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب.

إذ أن الظلم شؤم على أصحابه، قال النبي ﷺ : «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ» متفق عليه عن ابن عمر ﷺ .

وحذر النبي ﷺ الإنسان من دعوة المظلوم، ففي الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال النبي ﷺ: «واتَّقِ دعْوةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْس بَيْنَها وبيْنَ اللهَّ حِجَابٌ» .

وكم أهلكت من أمم ودمرت من شعوب وتغيرت أحوال، بسبب الظلم، فعَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُمْلِي، وَرُبَّمَا قَالَ: يُمْهِلُ، لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

فالظلم خطره عظيم وشأنه جلل، وأغلب ما يقع في الأمة من الأمراض والأسقام والتغيرات سببها الظلم، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)﴾.

وأعظم العدل إقامة التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وصرف الطاعات له والإقبال عليه.

وأعظم الظلم الشرك بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾،وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "" لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

وقد تقدم أن أصحاب العدل يضلون تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، وأنهم أهل الجنة، وتثقل موازينهم، وحسناتهم {جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا} [النبأ: ٣٦].

وأما أهل الظلم، لا سيما الشرك بالله والنفاق فيفضحون على رؤوس الخلائق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)﴾ فيعرفهم كل أحد لأنهم كانوا يعاقرون الظلم سواء ظلم الأموال، أو العقائد، أو الأنفس،

وغير ذلك من الظلم، قال الله عزوجل: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن: ٤١].

وقد حذر النبي ﷺ في أشرف المواطن من الظلم بأنواعه، فعَنْ أبي بكرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «اللهمَّ اشْهَدْ» متفق عليه .

احذر من الظلم، فإذا كنت قادرا فالله أقدر منك، وإن كنت متمكنا فسيمكن اللهّ منك، وقد أحسن من قال:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم مصدره يفضي إلى النّدم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسُّوط، فسمعت صوتًا من خلفي: اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، قالَ: فالتفت فإذا برسول الله ﷺ ، فقالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ علَى هذا الغُلَامِ»، قالَ: فَقُلتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا . متفق عليه .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قالوا: الْمُفْلِسُ فِينا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِي يَوْمَ

الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهذا من حسناتِهِ، فإن فنِيَت حسناتُهُ قبلَ أن يُقتصَّ ما عليْهِ مِنْ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. أخرجه مسلم (٢٥٨١).

فالظالم قد جعل الله عليه سبيلاً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٤٢].

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ الله عَبْدًا كَانَتْ لأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ، فَجَاءَهُ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَّلُوهُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ» أخرجه أبو داود (٢٤١٩).

فيبنغي لنا عباد الله أن نلازم العدل في أقوالنا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ ، وإن كان البعيد والقريب، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾. فالاعتداء عظيم، وخطره جسيم، وأغلب الناس يتعنون هذا الفعل إلا من رحم اللهّ

عز وجل، و الغيبة والنميمة والسحر والمعاصي بأنواعها وأعظمه الشرك بالله، كما تقدم، فكن بعيدا عن ما يؤدي بك إلى خسارة الدارين، وادع الله عز وجل أن يحفظك، ويسلمك من الأخلاق الذميمة، وأن يوفقك للأخلاق الحسنة الجميلة التي كان النبي ﷺ يدعوا بها، «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**».

وقد أحسن من قال:

فلا تعجل على أحد بظلم**فإن الظلم مرتعة وخيم

ويجب على المسلمين التناصر ضد الظلم وأهله، فعن أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: **تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ**» أخرجه البخاري .

وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: **"أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ "** قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا

ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **"صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟ "**

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن: شكران النعم وكفرانها[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

نتذاكر أمرا محمودا، وهو من الأهمية بمكان، وأمرا مذموما وهو من الضرر بمكان، ألا وهما: شكران النعم وكفرانها.

فإن شكر النعم من أشهر وأظهر سمات المؤمنين، وكفران النعم من أشهر وأظهر صفات الكافرين، قال الله عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾. وهذا أمر عام في جميع نعم الله، الظاهرة والباطنة. فإن النعمة إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت، وقد قيل:

إِذا كُنتَ في نِعمَةٍ فَارعَها** فَإِنَّ المَعاصي تُزيلُ النِعَم

وَحافِظ عَلَيها بِشكر الإِلَهِ **فَإِنَّ الإِلَهَ سَريعُ النِّقَم

والأمثلة على ذلك ظاهرة وجلية، وقد أمر الله عز وجل آل داود وهو أمر لجميع المؤمنين بالشكر، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)﴾. وقال في قوم سبأ، الذين أعرضوا وكفروا

[1] كان هذا المجلس في العاشر / من رمضان / لعام ١٤٤١.

نعمة الله: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)﴾.

فحمد الله وشكره من الأمور المهمة في ديننا وشرعنا، ولذلك افتتح الله كتابه وخلقه بالحمد، وقال: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾. ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)﴾، وختمها بالحمد، أي حين أدخل أهل الجنة الجنة وخلدوا فلا موت، وأدخل أهل النار النار فخلدوا ولا موت، قال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾.فيحمد على عظيم مننه، وكريم نعمه، كما يحمد على عظيم عدله سبحانه وتعالى، ولأهمية الحمد قال الله: ﴿فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)﴾ .

وربنا عز وجل يرضى عن العبد، إذا حمده وشكره، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم .

فإذا كانت شربة وأكلة يرضى الله عنك إذا حمدته عليها، فكيف إذا حمدته وشكرته على نعمة الإسلام والسنة والاستقامة وغير ذلك من النعم العظيمة.

إن حمد الله عز وجل وشكره من أعظم أسباب رضا الله، ولهذا ابتلى الله العباد بالشكر والكفر، فقال مخبراً عن سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾.

وأرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع، لاختبار الناس من الذي يشكر النعمة فيضاعفها له ويزيدها عليها، وقد أحسن من قال:

(ومن يشكر الله يلقى المزيد* ومن يكفر الله يلقى الغير).

ومن يكفره النعمة قد تسلب منه، قال تعالى: ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ﴾.

فعلى الإنسان أن يكون شاكرا لله بلسانه حاله ومقاله، لأن الشكر ليس مقصوراً على اللسان، كما يظنه جماهير الناس بل الشكر يكون لله بالقلب استكانة وخضوعا ويكون باللسان ذكرا وثناء، ويكون بالجوارح انقيادا واستسلاما، ولذلك كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه قيل له، قال: «أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

فالشكور هو الذي يسخر جوارحه في طاعة الله، ومرضة.

ومن أشهر وأظهر طرق الحمد والشكر: اللسان. أن يكون هجي العبد، الحمد لله والشكر لله، فما أنت فيه من الخير فهو فضله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)﴾.

ومن حمد الله وشكره شكر من أحسن إليك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ» أخرجه الترمذي .

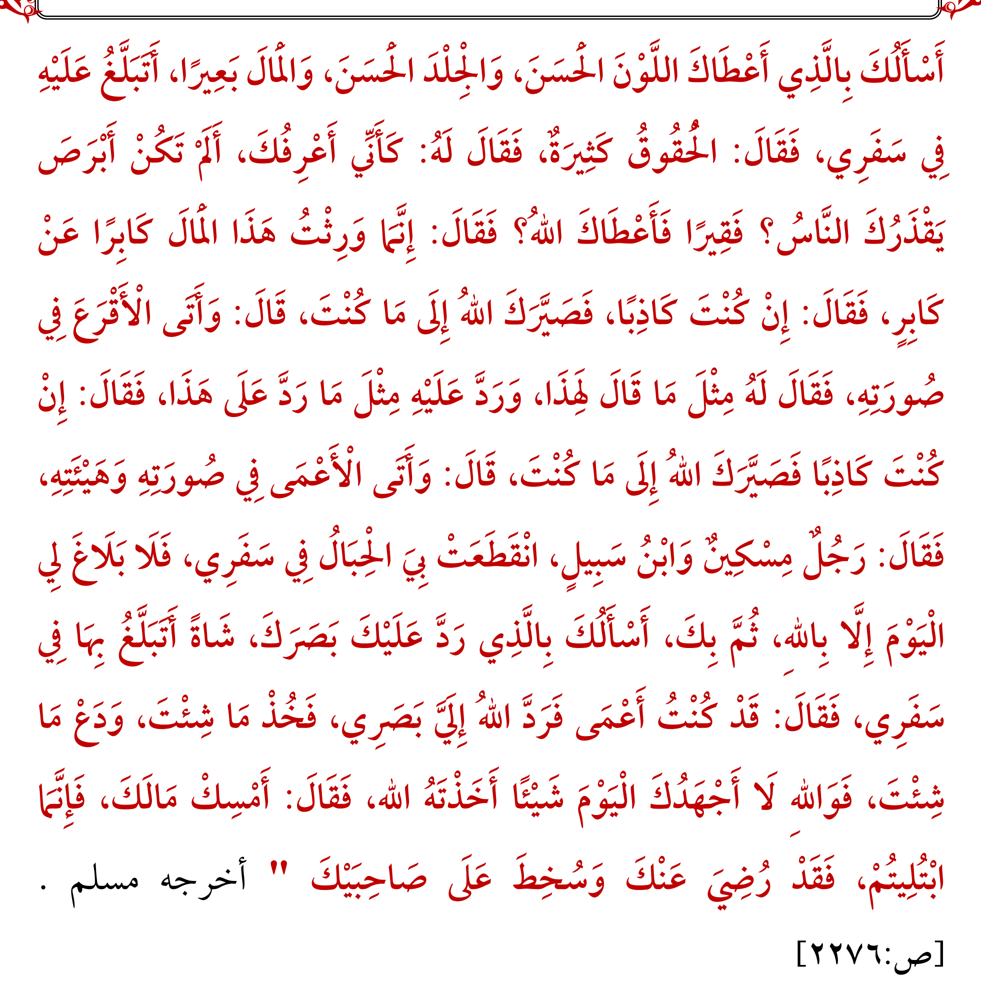
فحافظوا على شكر الله، يزدكم من فضله، فهو الشكور ومن شكره أنه يضعف للعبد الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعة مائة ضعف، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾. فيعمل العبد العمل اليسير ويشكره الله عليه، ويضاعف له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)﴾، فاسمه الشكور فتخلق بهذا الخلق، واتصف به فإنه صفة كمال ومدح، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾

بينما كفران النعم يؤذن بزوالها وذهاب بركتها، وحصول ضررها، وما دمدم الله عز وجل على الكافرين، وقست قلوبهم إلا بعدم شكرهم، وخضوعهم لله.

فإذ امتن الله عليهم بالمال والولد والضيعات وغير ذلك، نسبوها إلى أنفسهم كما قال الله عز وجل عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾.

وعلى فضل لهم كما أخبر الله عز وجل عن صاحب الجنة: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا} [الكهف: ٣٥ - ٤٣] ، وقد دمدم الله عز وجل على أولئك

الذين نسبوا النعمة لأنفسهم كما في الحديث الثلاثة الذين من بني إسرائيل فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ، أَوِ الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ،


أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ " أخرجه مسلم .
[ص:٢٢٧٦]

فإذا أردت دوام النعمة فاشكرها وإذا تعجلت زوالها فلا أسرع من كفرانها، كما ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الجنة، ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢)

فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾.

فالطغيان وعدم شكر النعم سبب لزوالها.

وفي باب الشكر ما أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَبِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

فأكرمه الله، بهذه الكرامات العظيمات، والمنزلات الرافعات في الدنيا فما بالك بالآخرة التي أعد الله للمؤمنين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وشأن المؤمن على الشكر والصبرفعَنْ أبي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِن: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وإِنْ أصابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ» أخرجه مسلم.

يمرض فيحمد الله يعلم أن الله أراد به خيرا كفير الذنوب، ورفع الدرجات، ويصيبه الفقر ويحمده على ما أراده يحمده على حكمته، ويشكره على ما هو فيه من النعمة، صحة البدن، وصحة العقل، إلى غير ذلك.

بينما الكافر في ليله ونهاره وسره وجهاره وهو لا يرى لله نعمة ولا يرى له شكرا، ولذلك دمدم الله عليهم في الدنيا والآخرة، فكن شاكرا لله عز وجل بقولك، وفعلك، واعتقادك، مستحضرا لعظيم نعمه، وجزيل مننه، فإن هذا من أسباب صلاح العبد واستقامته على الدين، ويعلم أن كل ما هو فيه من خير من الله، وما هو فيه من شر وضير ونقص فبسبب ذنوبه ومعاصيه {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} [النساء: ٧٩].

وقد أحسن محمد الوراق إذ يقول:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ** عليَّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله**وإن طالت الأيام وانقض العمر

وقد قلت في ذلك أبياتاً أسوقها إن شاء الله، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد

والحمد لله رب العالمين.

المجلس التاسع: الصمت والكلام[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن أمرين مهمين؛ هما: الصمت والكلام.

قال الله عز وجل: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه.

دل الحديث على أن الإنسان ينبغي أن يسخر لسانه بالكلام الممدوح، المقرب إلى الله عز وجل، إلى الذكر والدعاء وقراءة القرآن، والأمر

[1] كان هذا المجلس في الحادي عشر / من رمضان / لعام ١٤٤١.

بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة، وغير ذلك مما شرعه وأباحه الله عز وجل.

قال النووي في الأذكار (ص: ٣٣٢):

اعلم أنه لكلّ مكلّف أن يحفظَ لسانَه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهرُ المصلحة فيه، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة، فالسنّة الإِمساك عنه، لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

وروينا في " صحيحي البخاري ومسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " من كان يؤمن بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ " .

قلت: فهذا الحديث المتفق على صحته نصّ صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت له مصلحته، ومتى شكّ في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

وقد قال الإِمام الشافعي رحمه الله: إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلَّم، وإن شكَّ لم يتكلم حتى تظهر. انتهى

«أَوْ لِيَصْمُتْ»، إذ إن الصمت سبب للسلامة من معرة اللسان، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾. فأمر

بملازمة القول السديد، الموافق للقرآن والسنة، فإن فالصمت سداد وكما قال بعضهم:

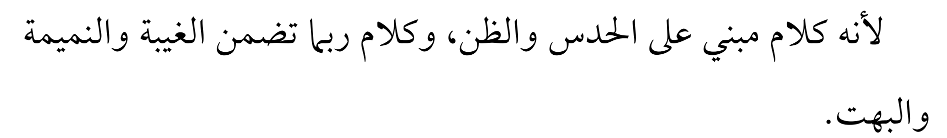
إذا لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد**

والمرء بأصغريه قلبه ولسانه، فبصلاح القلب صلاح الظاهر والباطن، وبصلاح اللسان استقامة الحال والمآل، وكم من إنسان رفعه الله الدرجات العلى بكلامه، وكم من إنسان صار في الدركات السفلى بكلامه، عن بِلال بنِ الحارثِ المُزنيِّ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ الله تَعالى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بلَغَتْ يكْتُبُ الله لَهُ رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا كَانَ يظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ يكْتُبُ الله لَهُ بهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يلْقَاهُ» وفي بعضها: «يهوي بهَا في جَهَنَّم».

وفي قال العامة: "لسانك حصانك إن صنته صانك وإن أهنته هانك".

وفي حديث معاذ رضي الله عنه: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَامُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» -أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- «إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ» رواه الترمذي (٢٦١٦).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ " أخرجه أحمد.

لأنه كلام مبني على الحدس والظن، وكلام ربما تضمن الغيبة والنميمة والبهت.

وَسُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «**الْفَمُ وَالْفَرْجُ**» أخرجه الترمذي. الفم بكلامه فيما لا يعنيه والباطل، وبأكله للحرام والفرج بالزنا ونحوه.

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ**» وذكر منها: «**اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ**» أخرجه أحمد وغيره.

فالتكن صادقا في قولك، ومسخرا له في طاعة الله عز وجل.

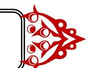
من الذكر والدعاء وقراءة القرآن، وما تقدم ذكره .

وقد أحسن من قال:

والصمت أليق بالفتى** من منطق في غير حينه

فإذا لم يكن كلامك يؤدي إلى مرضاة الله فالصمت أليق.

وأفضل منه أما إذا كان الكلام حرام فالصمت واجب، ولا يترجح الكلام على الصمت إلا إذا كان في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة والذكر والدعاء وغير ذلك مما يحبه الله عز وجل، ويحبه الله عز وجل ويقرب إليه .




فأما إذا كان الكلام على غير ذلك فهو مسطر ومقيد عليك ، قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾. رقيب عن يمينه، وعتيد عن يساره، يرقبان جميع أعماله وأقواله، نسأل الله السلامة والعافية.

فعلى الإنسان أن يراقب الله عز وجل في كلامه وصمته، كما أنك تتعبد لله عز وجل بالصلاة والصيام والقيام والحج وغير ذلك من الفضائل والأركان كذلك تعبد لله عز وجل بكلامك وصمتك. ومن قلَّ كلامه قل خطؤه ومن كثر كلامه كثر خطؤه.

ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: «مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ» أخرجه ابن أبي الدنيا (ص: ٦١) في الصمت.

وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس في هذا الباب، فكان إذا تكلم تكلم ثلاثا أي بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم.

وكان بعيدا عن فضول الكلام، كما أنه كان بعيدا عن فضول الشراب والطعام، وإنما كان ملازما لأحسن الأحوال والأقوال، فلنتأسى ولنقتدي به، لعل الله عز وجل أن يكرمنا أن نحشر في زمرته، وأن نكون على طريقته.

وقد كثر الكلام في هذه الأيام وقلَّ الصمت إلا من رحم الله، لاسيما مع وجود وسائل التواصل، فكل يتكلم لكن قلَّ من يتكلم بالحق وينصره

ويدعوا إليه، فلا تتكلم وتنشر إلا ما ترجوا خيره، وإلا فالصمت زين، والكلام شين، ففي المثل: «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب».

وقيل بأن سيد لقمان الحكيم قال له: اذبح شاة وأتيني بأحسن ما فيها، فآته بالقلب واللسان ثم قال له: اذبح شاة وأتني بأسوئ ما فيها فأتاه بالقلب واللسان فعجب منه وقال له طلبت منك أن تذبح شاة وتأتي بأحسن ما فيها فأتيت بالقلب واللسان وسألتك أن تأتي بأسوئ ما فيها فأتيت بالقلب واللسان قال: إنما الإنسان بقلبه ولسانه أي صلاحه وفساده.

وكم من إنسان يكون صامتا ويجله من يراه فإذا ما تكلم عرف نقصه. وقد أحسن من قال:

لِسانُ الفَتى نِصْفٌ وَنِصفٌ فُؤادُهُ ** فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صُورَةُ اللّحمِ والدّمِ

وَكَائِنٍ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ لَكَ مُعْجَبٌ ** زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

فشأن اللسان عظيم، ربما ترفع لك به الدرجات العلى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسولَ الله ﷺ، فَقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقالَ: «وَما ذَاكَ؟» قالوا: يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقالَ رَسولَ الله ﷺ: «أَفلا أُعَلِّمُكُمْ شيئًا تُدْرِكُونَ به مَن سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ به مَن بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنكُم إلَّا مَن صَنَعَ مِثْلَ ما

صَنَعْتُمْ قالوا: بَلَى، يا رَسولُ الله قالَ: تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» متفق عليه .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: " أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» أخرجه مسلم .

فبالكلام يُرفع العبد إلى درجات الكرام، وأن يكون مع السفرة البررة.

فاستغل لسانك وكلامك في نصرة دين الله، وفي ما كان في هذا الشأن ولا نحرم عليك الكلام المباح مع زوجك وولدك وصاحبك، لكن المراد الكلام الذي لا يأتي بخير الكلام الذي يكون مبناه على الغيبة والنميمة والبهت والكذب، الكلام الذي يبنى على التدخل فيما لا يعني، الكلام الذي لا يقرب من الله عز وجل، وربما باعد منه.

وهكذا الصمت أحكامه كأحكام الكلام فلا يليق بك أن تصمت على الباطل، إلا إذا عجزت عن ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم.

وباللسان تستطيع أن تتصدق كما تقدم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» .

اللسان يدل به الناس إلى الخير فعَن أبي هريرة أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ لاَ ينْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا». رواهُ مسلمٌ.

باللسان ترفع حوائجك إلى الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

و باللسان تدافع عن دين الله، عن أنس بن مالك، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «جاهِدوا المشرِكينَ بأموالِكُم وأنفسِكُم وألسنتِكُم» أخرجه أبو داود، فشأن الكلام والصمت عظيم لكن لمن كان على الوجه الذي شرع الله وبينه رسول الله ﷺ، وقد قيل:

احفظ لسانك أيها الإنسان**لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه❊❊صار مقتولا بسبب لسانه

فالله الله في حفظ هذه الجارحة واستغلال نعمة الكلام فيما يقرب إلى ملك العلام وإلا فإن الصمت من أعظم ما يسلم به الإنسان ويكفينا قول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» أي عن الشر فذلك أروح لنفسه وأرفق بحاله وأطمن لنفسه إلى غير ذلك من الفضائل والخصال الحميدة.

الحمد لله رب العالمين.

المجلس العاشر: التواضع والكبر[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد وصف الله عز وجل نفسه بقوله: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وذكر منها: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾، فهو الجبار ذو الجبروت، والمتكبر ذو الكبرياء، ولذلك قال سبحانه وتعالى كما في الحديث القدسي عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «قَالَ الله عزَّ وجلَّ: العِزُّ إزاري، والكِبْرياءُ رِدَائِي، فَمَنْ يُنَازِعُني في واحدٍ منهُما فقَدْ عذَّبتُه» رواه مسلم.

وحق له أن يتكبر سبحانه وتعالى، فهو الكامل في ذاته، وصفاته، لا يُقهر ولا يُغلب، فالملك ملكه، والأمر أمره.

بينما كان الكبر في حق الإنسان صِفة ضعف وسوء خلق، لأن الإنسان ضعيف في طبعه، ومحتاج إلى غيره، فكان المتعين أن يتواضع، عن أبي هُريرة: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» رواه مسلم.

قيل معنى الحديث: رفعه في الدنيا بثناء الناس عليه، ورفعه في الآخرة الدرجات جزاء عمله وتواضعه.

[1] كان هذا المجلس في الثاني عشر من رمضان/١٤٤١هـ

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، ولَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

فالتواضع يحملك على لين الجانب، وحسن الحديث مع الغير، والإحسان إليهم والتجاوز عنهم، فهو خلق عظيم، سببٌ لكثير من الأخلاق العظيمة الجليلة الجميلة، فلقد «كان النبي ﷺ يحلب شاته ويفلي ثوبه ويخسف نعله» أخرجه أحمد (٢٦١٩٤) عن عائشة رضي الله عنها، وهذا يدل على عظيم تواضعه، ومع أنه خير البرية وأفضل البشرية، يصلح نعله إذا انقطع، ويحلب شاته إذا احتاج اللبن، ويخيط ثوبه إذا احتاج الخياطة.

وربما جاءت الجارية الصغيرة فتأخذ بيده ﷺ وتشكو عليه حتى يكمل حاجتها .

وكان لا يأنف أن يجلس مع الضعيف والمسكين وكان يجالس صهيب الرومي، وبلال الحبشي وعبد الله بن مسعود الهذلي وفي المدينة من أمثال سلمان الفارسي، وكلهم عنده في المقام المعلى، لأنهم أصحاب الإيمان والعمل الصالح .

وقال ﷺ: " لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ "

وربما دعي إلى مرقة فيجيب، ففي صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «دَعَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَجِيءَ بِمَرَقَةٍ فِيهَا دُبَّاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الدُّبَّاءِ وَيُعْجِبُهُ»، وهذا من عظيم تواضعه.

وكان يجلس على الأرض ويركب على الحمار والبغلة والبعير بل كان يعتقب في غزوة بدر على بعير واحد فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَيْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: " مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا " أخرجه أحمد (٣٩٠١) .

وهكذا أصحابه، أبو بكر رضي الله عنه لما قال لي بلال وصهيب وسلمان: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ قال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُم؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» أخرجه مسلم .

وهكذا كانوا يتواضعون لأنفسهم فقلّت خلافاتهم وعظمت محبتهم وزادت مكرماتهم، فمن أخطأ على أخيه اعتذر، ومن كان ذا سعة أنفق وبذل وشكر، ورباهم النبي ﷺ وعلمهم وأدبهم على هذا الخلق العظيم، يجتمعون في المساجد الغني والفقير ويجتمعون في الحج بلباس واحد

ويجتمعون في العيد لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ﴾.

وأهل الجنة هم أهل التواضع فعن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ» أخرجه ابن ماجه (٢١١٦) ، ضعيف في نفسه ويتضعف للمسلمين، وما أحسن تلك الأبيات:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ** على صفحات الماء وهو رفيع.

ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسه**إلى طبقات الجو وهو وضيع

فتواضع يا هداك الله، وأعظمه التواضع لله، بالتوحيد فإن أصل إبليس كفره الكبر، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾، فأعظم أسباب كفر الكافرين الكبر، على دين الله وعلى رسل الله، وعلى المستضعفين. انظر إلى قوم صالح حيث قال الذين استكبروا للذين استضعفوا {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٧٥] الضعفاء قالوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ (٧٦)﴾، وقال عن قوم شعيب: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، ويوم القيامة سيذل أهل الكبر، ومن إليهم فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ من كلِّ مكانٍ يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّم يُقالُ له: بُولَسُ تعلُوهم نارُ الأنيارِ يُسقَوْن من عُصارةِ أهلِ النَّارِ» أخرجه أحمد.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» أخرجه أحمد (٥٩٩٥).

وعن ابن عمر قَالَ: الْتَقَى عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: الَّذِي حَدَّثَنِي هَذَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِنْسَانٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ ".

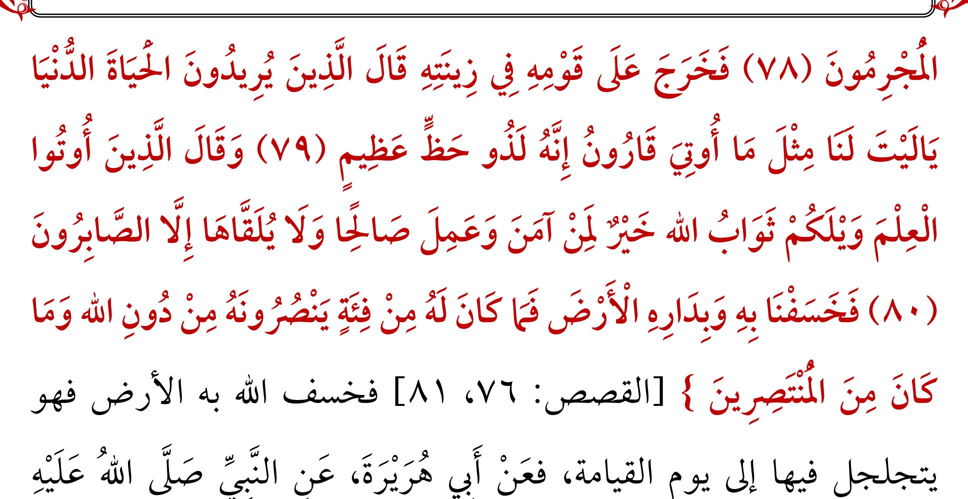
وليس الكبر أن تلبس الجديد وأن تركب الجيد، الكبر رد الحق واستحقار الناس ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ

إِيمَانٍ» قال رجل: يا رسول الله إنَّ الرَّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: «إنَّ اللهَ جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقِّ» أخرجه مسلم .

رد الحق، والإعراض عنه والزهد فيه، تعاليا وتعاظما.

«وغمط النَّاس» واحتقارهم ، فلا تحتقر أحدا للونه، ولا لفقره ولا لمرضه، ولا لشيء من شأنه، فالأمر إلى الله الذي جعله على هذا الحال. وإنما يُحَقَّرُ أهل الشرك والبدعة والمعصية، لأن الكرامة عند الله بقدر الطاعة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

والكبر سبب في إهلاك أغلب الأمم الكافرة حيث تكبروا على أنبيائهم ورسلهم فدمدم الله عليهم، وجعلهم في الذل والصغار، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} [المجادلة: ٢٠] من ذلك ما قصه الله عز وجل علينا من خبر قارون الذي تكبر لكثرة ماله، وأتباعه، قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ



الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ } [القصص: ٧٦، ٨١] فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» متفق عليه.

فالتواضع يا عبد الله يحملك على قبول الحق، وعلى الإلانة القول والفعل للخلق ويحملك على الرجوع عن الباطل، وهو خلق كريم اتصف به جميع الأنبياء والمرسلين ومن إليهم من المؤمنين.

بينما الكبر خلق الشيطان الرجيم، ومن تبعه من الكافرين، قال الله عز وجل: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ " أخرجه مسلم .

فاعرف قدر نفسك يا إنسان، وأن أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة. وأنت بين ذلك تحمل العذرة فلماذا تتكبر. إن كان الكبر لجمالك فالجمال عطاء الله لك، وإن كان الكبر لمالك فالمال رزق الله لك، وإن كان الكبر لوظيفتك فالله عز وجل هو الذي مكننك من ذلك وهو القادر على أن يسلب ذلك كله منك، فتصبح لا تلوي على شيء.

ومن أسوء المتكبرين الفقير إذا تكبر، إذ ليس له دواعي للكبر إلا سوء النفس، وَعنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمْ اللهَّ يوْمَ الْقِيَامةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلا ينْظُرُ إلَيْهِمْ، ولُهمْ عذَابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ» أخرجه مسلم .

شيخ كبير ليس له رغبة في النساء، قد ضعفت جوارحه ومع ذلك يبحث عن هذا الشر. «ومَلِكٌ كَذَّابٌ» ملك يستطيع أن يأمر وينهى ولا حاجة له في الكذب، «وعائلٌ مستكبر» أي فقير، والفقير حقه أن يكون متواضعاً متذللاً خاضعاً ومع ذلك استكبر لسوء نفسه .

فلابد للإنسان أن يتواضع لله، وأن يتواضع لسنة رسول الله ﷺ وأن يتواضع لعباد الله المؤمنين. فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لطاعته ومرضاته، والحمد لله رب العالمين .

المجلس الحادي عشر: الحياء والجفاء[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أما بعد:

سنتكلم في هذا المجلس عن خلقين أحدهما من صفات أهل الإيمان، والآخر من صفات أهل النفاق والإجرام، ألا وهما: الحياء والجفاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**الحياء مِن الإيمان، والإيمان في الجنَّة، والبَذَاء مِن الجَفَاء، والجَفَاء في النَّار**» أخرجه الترمذي (٢٠٠٩).

فالحياء صفة عظيمة، من اتصف بها رجي خيره وقَلَّت معاصيه وشروره، ومن حرمها لم يبالِ ما صدر منه، وكان في حديث عقبة بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ ممَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ، إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»، والعامة يقولون: إذا لم تستحِ فاصنع ما تشتهي. والحديث ليس على الإباحة، وإنما على الإنكار والتهديد والذم، فإذا قل حياء المرء صدر منه كل الشر، وإذا عظم حياءه كانت أعماله على الخير والصلاح.

[1] كان هذا المجلس في الثالث عشر / من رمضان / لعام ١٤٤١.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» متفق عليه، وها لفظ مسلم .

وفي حديث عمران بن حصين قال النبي ﷺ: «الحَيَاءُ لا يأْتِي إلا بِخَيْرٍ». وفي لفظ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». وفي لفظ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» متفق عليه.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه مر النبي ﷺ برجل يعظ أخاه بالحياء قال: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» متفق عليه .

و عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ» أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الحَيَاءُ وَالعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ. وَالعِيُّ قِلَّةُ الكَلَامِ، وَالبَذَاءُ: هُوَ الفُحْشُ فِي الكَلَامِ، وَالبَيَانُ: هُوَ كَثْرَةُ الكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللهَ» أخرجه الترمذي (٢٠٢٧).



والحياء من الله عز وجل مطلوب وسبب للظفر، فعن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يا رسول الله، عَوْرَاتُنَا، مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: **"احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ"** قال: قُلْتُ: يا رسول الله! أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: **"إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُرِيَهَا أَحَدًا، فَلَا تُرِيَنَّهَا"** قُلْتُ: يا رسول الله، فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: **"فَالله أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ"** أخرجه الترمذي .

وعن عبد الله بن الحارث ﷺ أن النبي ﷺ رأى شبابا يلعبون وهم عراة فقال ﷺ: «**لَا مِنَ الله اسْتَحْيَوْا، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوا**» أخرجه أحمد.

وقد كانت نسائهم ذات حياء وعفة، وحشمة فقلت عندهم الشرور وكثرت عندهم أفعال الخير.

ومن أعظم من اتصف بالحياء من المخلوقين النبي ﷺ. قيل في وصفه: **"كَانَ أشدَّ حياءً من عذراءَ في خِدْرِها"** متفق عليه .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يستحيون منه، حتى لربما لم يرفعوا وجوههم إلى وجهه، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : «**لَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ**» أخرجه مسلم .

وعن أنس ﷺ : «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ**» أخرجه ابن ماجه (٤١٨١) .

والحياء منه الجبلي الذي يجبل الله عزوجل الشخص عليه.

ومنه المكتسب حيث يعلم العبد أن الله عز وجل يراه، فيستحي أن يلقى الله بذنوبه ويستحي أن يراه في أماكن التهم والريب والفساد، فإنك إذا فعلت ذلك كنت في خير وصرت إلى خير .

فعلى المسلم أن يلازم الحياء، وعلينا أنه نعلمه الأبناء ، والنساء.

والواقع أن كثيراً من الناس إذا رأى ولده على حياء أو وليته على حياء وإذا به يجرهم إلى الشر، وربما زجر الولد عن الحياء ودعا وليته إلى نزع الحياء بدعوة التحضر ودعا إلى الاختلاط، مع المخالفة لحديث: النبي ﷺ: « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ الله أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ » أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

فعلينا أن نعود أنفسنا الحياء مع الله أولا .

ثم مع سنة رسول الله ﷺ ثانيا، فنبتعد عن البدع والمنكرات والمحدثات.

ثم مع العباد ثالثا فلا يصدر منا إليهم ما يسيئ ولا تظهر من أعمالنا القبيحة ما يشين مع وجوب التوبة في السراء والضراء وقد يجاهر بعض الناس لقلة الحياء الذي في قلبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ

«كل أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهرةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا». متفق عليه.

وأما الجفاء، والبذاءة فهي من أخلاق أهل النفاق، جفاء في أخلاقهم، وبذاءة في أقوالهم، وهذه مخالفة لطريق أهل الإيمان والإحسان، كما تقدم فإن سبيلهم الحياء في كلامهم مع غيرهم وفي معاملاتهم مع غيرهم.

بينما أهل النفاق ومن تشبه بهم سبيلهم الجفاء في الأفعال، والغلظة في الأقوال وبغض في القلوب إلى غير ذلك. فإذا أردت أن تكون من أهل الجنة فتحلى بالحياء وتزيا به واجعله شِعارك، ودثارك، وجعله مقارنا لك في خلوتك وجلوتك، وفي حضرك وسفرك كما تقدم قول النبي ﷺ: «الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ مَقرُونَانِ» قرينان «فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخَرُ». والمعنى أيضا إذا ضعف أحدهما ضعف الآخر .

وانظر إلى جفاء ما المنافقين تجاه النبي ﷺ، يأتي أحدهم ويقول: «اعدل يا محمد والله إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله» متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه .

نفاق وسوء سريرة وقلة أدب، وعدم حياء.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ» فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ، يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَالله لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ. » أخرجه مسلم. إلى أبعد أوجه السفه، ولقلة حيائهم تكلموا في عرض النبي ﷺ عائشة البريئة المبرأة واتهموها بما هي بريئة منه، وحالها كما قال حسان رضي الله عنه:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزِنُّ بِريبَةٍ ** وَتُصبِحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ

ولقلة حيائهم أرادوا قتل النبي ﷺ في غزوة تبوك.

ولقلة حيائهم خذلوا النبي ﷺ في الأحزاب وأحد، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} [الأحزاب: ١٣].

فالصفات الحميدة ينبغي أن تنمى في قلوبنا وقلوب أبنائنا وقلوب نسائنا وقلوب مجتمعاتنا فإنها سبيل العزة والكرامة.

والصفات الذميمة ينبغي أن تحارب في المجتمعات ويحذر منها لأنها من الأخلاق السنة .

وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "**استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: وما حق الحياء؟ قال: أن تحفظ البطن وما وعى، والرأس وما حوى، وأن تذكر الموت والبِلا، وأن تستعد للآخرة وتترك الأولى**" ضعيف في سنده عظيم في متنه، أن تكون حافظا لبطنك فلا تأكل الحرام، ولرأسك فلا يتعاطا الحرام، وأن تكون ذاكرا للموت بحيث إذا قدمت على الله عز وجل ويجازيك على حسن أعمالك وقد تبت من سيئها فتستحي أن تلاقي الله بالمظالم وحقوق الناس فتبادر إلى التوبة والإنابة كما أمر الله عز وجل، وإذا تذكر الإنسان الموت قلة كثير من شروره لزهده في الدنيا ورغبته في الآخرة.

وليس من الحياء ترك الواجب ويزعم أنه يستحي من الناس. هذا خور، فعليك أن تلبس ما لبس النبي ﷺ وتزود بما تزود النبي ﷺ، وافعل ما فعل النبي ﷺ متعبدا إلى الله، ولا تتهيب من الناس، فإن التهيب من الناس خور.

وهنا تنبيه إلى قول كثير من الناس: " لا تستحي" فهذا لا يجوز على إطلاقه، ولكن إذا كان في أمر مباح قل: "لا تخجل". افعل ذلك ولا حرج عليك.

ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وأن يهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو.

والحمد لله رب العالمين

المجلس الثاني عشر: الغيرة وعدمها [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن أمر اتصف الله عز وجل به، واتصف به رسوله ﷺ، ويتصف به خلص المؤمنين في كل زمن وحين، والآخر إنما هو خلق الفاسقين، ومن ضعف عندهم التمسك بالدين، ألا وهو الغيرة على محارم الله، وعدم ذلك.

وقد جاء في الصحيحين عن عائشة وغيرها أن النبي ﷺ، قال: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ». فحرم الله عز وجل الزنى واللواط، وغير ذلك من الفواحش التي يتعاطاها الإنسان الجاهل، الجهول. غيرة منه سبحانه وتعالى. وهي صفة تليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾.

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن سعد بن عبادة رضي الله عنه، قال: "يا رسول الله والله لو وجدت رجلا عند امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح". أي يضربه ضربة قاتلة ويبادره بها. فالتفت النبي ﷺ إلى

---

[1] كان هذا المجلس في الرابع عشر من رمضان / لعام ١٤٤١ .

أصحابه وقال لهم: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْه وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي».

فهو خلق يتصف به كل إنسان عنده كرم وشجاعة ومروءة وعفة يغار على زوجه، ومحارمه، أن يقع أو يتعرض لهم بسوء.

وكان النبي ﷺ أشد الناس غيرة، لأن غيرته على حدود الله ومحارمه، فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ: «ما انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم .

وقد كان الصحابة على شأن عظيم في هذا الباب فعَنْ جَابِرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ».فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوَ عَلَيْكَ يُغَارُ» متفق عليه .

شاهدنا أن غيرة عمر قد علمت عند رسول الله ﷺ وعند غيره من المسلمين .

وأخرج مسلم عن هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ

إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**» والشاهد من الحديث غيرة الشاب حين رأى امرأته على باب الدار.

وكان من المشهورين بالغيرة الزبير بن العوام، فعن عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا

شَيْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ، وَأَسُوسُهُ، وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ، أَعْلِفُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ، وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، فَكَانَ يَخْبِزُ لِي جَارَاتٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ. قَالَتْ: فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: " إِخْ إِخْ "، لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ. قَالَتْ: فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ. قَالَتْ: وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ، فَمَضَى، وَجِئْتُ الزُّبَيْرَ، فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ مَعَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ. قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ، فَكَفَتْنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي " أخرجه أحمد .

قال الحافظ: والذي يظهر أن هذه القصة كانت قبل نزول الحجاب، ومشروعيته . اهـ

فالشاهد أن غيرة الرجال على نسائهم ومن إليهم وغيرة النساء على أنفسهن يعتبر من أعلى وأحسن الصفات المبعدة لهذا الإنسان عن أسباب الشهوات المفضية إلى ضياع الدنيا والدين نسأل الله السلامة والعافية.

فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيُصَلِّي الصُّبْحَ، فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ» أخرجه مسلم.

وقد أمر الله عز وجل بالحجاب، وأمر بقرار المرأة في بيتها، ونهى عن التبرج، كل ذلك غيرة أن تنتهك حرمة المسلم، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ} [الأحزاب: ٥٩].

والغيرة غيرتان:

غيرة ممدوحة؛ يحبها الله.

وغيرة مذمومة؛ يبغضها الله.

فعن جابرِ بن عَتيكٍ، أن نبيَّ الله -صلَّى الله عليه وسلم- كان يقول: "مِن الغَيرةِ ما يحبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ: فأما التي يُحبها الله عزَّ وجلَّ

فالغَيرةُ في الرِّيبةِ، وأما التي يُبغِضُها فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ" أخرجه أبو داود (٢٦٥٩)، وله شواهد .

فالممدوحة على ما تقدم هي التي تكون عن ريبة، إذا رأى ما يريبه في أهل بيته أو من يليه زجرهم عما هم فيه.

والمذمومة: أن تكون على غير ريبة.

والناس في صفة الغيرة ثلاثة أقسام:

الأول: منهم من يغار في الحق والباطل، وربما شدد على نفسه وعلى زوجه، ودخل في باب الوساوس وتَعِب وأَتْعَب.

الثاني: منهم من لا يبالي من خرج ودخل وذهب ومن أتى، وعلى أي حال.

الثالث: الوسط وهم الذين يعلمون أنفسهم وأهاليهم طاعة الله عز وجل وإذا رأى ما يحتاج إلى تقويم قوم ونحو ذلك.

فاستقامة الأسرة المسلمة قائمة على الغيرة، والغيرة على المحارم، الغيرة على حرمات الله أن تنتهك.

والأمر الثاني المستقبح: الدياثة.

وهو أن يرضى الفساد في أهله وغيرهم، ولا يلزم الرضا بالفاحشة المستقبحة بل من رضي ما دون ذلك، والله المستعان.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه: «لا يدخلُ الجنَّةَ ديُّوثٌ» أخرجه النسائي وغيره.

فكثير من الناس لا يلتفت إلى أهل بيته وما يقع منهم، فاعلم وفقك الله أن المرأة مسكينة ضعيفة العقل ضعيفة الدين، سريعة التأثر، والحال كما قيل:

خَدَعوها بِقَولِهِم حَسناءُ ** وَالغَواني يَغُرُّهُنَّ الثَناءُ

والنبي ﷺ يقول: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ».

فكان من المتعينات على الآباء والأمهات والأزواج ومن إليهم أن يرعوا هذه المرأة بتوجيهها، ونصحها والدعاء لها، وعدم فتح الحبل على الغارب كما يقال، في خرجاتها ودخلاتها، لابد أن يكون الإنسان عالما بشأن أهله، مع عدم التشديد وإساءة الظن، فإن إساءة الظن مذمومة، قال الله عز وجل: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾. وقال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

ولا يتجسس عليها، ولا تتجسس عليه، فإن ذلك من أسباب فساد الجميع. "فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نهينا عن التّجسّس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به».

فالتجسس يؤدي إلى الإفساد وأنت لا تشعر، فعلى الإنسان أن يتعامل بالظاهر، مع نفسه وأهل بيته وجيرانه وأصدقائه إلا من ظهر غير ذلك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كنا نتعامل في عهد النبي ﷺ بالوحي والآن من أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وسريرته إلى الله، ومن لم يظهر لنا خيرا لم نأمنه ولم نقربه ولو قال أن سريرته حسنه" أخرجه البخاري .

وفي ختام هذه النصيحة أقول إن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي من الواتسابات والفيسبوك والتليجرام واليوتيوب وغير ذلك من الوسائل أدى إلى إفساد كثير من الشباب والنساء، وإلى إفساد كثير من الناس فلذلك يتعين على الإنسان أن يكون ناصحا لنفسه ولأسرته ولمن يليه في الكف عن استخدام ما يغضب الله عز وجل، فإن هذا من الغيرة على دين الله عز وجل، وعلى المحارم، فإن كثيرا من الناس لحقهم الضرر والشر، والله المستعان.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، وأن يصلحنا وأزواجنا وأبنائنا وجميع المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث عشر: البر والعقوق[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ﷺ.

أما بعد:

ونتكلم في هذا المجلس عن أمرين عظيمين أحدهما من أسباب خيري الدنيا والآخرة، والثاني من أسباب شر الدنيا والآخرة. نسأل الله السلامة والعافية. ألا وهما: البر والعقوق للوالدين.

وتعلمون يا من وفقكم الله أن الله عز وجل قد قرن حق الوالدين بحقه في مواطن من كتابه، فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ﴾، وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾.

وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

[1] كان هذا المجلس في السادس عشر من رمضان / لعام ١٤٤١.

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨)﴾.

ضرب مثلين لرجلين أحدهما بار بأبويه والآخر عاقل لهما فذكر من شأن البار أن أعماله متقبلا وأنه مرفوع الدرجات في الجنان بينما ذكر في شأن العاق أنه خاسر في الدارين. نسأل الله السلامة والعافية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ». وفي رواية: «**أمك وأباك ثم أدناك أدناك**».

وقد سلك السلف رضوان الله عليهم أعلى درجات البر، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ، إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ، إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ:

أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ، قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ: بَعْضُ أَصْحَابِهِ غَفَرَ اللهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ» أخرجه مسلم .

وحق الوالدين عظيم سواء أحسنا إليك أم لا، فيجب عليك أن تحسن إليهما لأننا نجد كثيرا من الناس يستحلون عقوق الآباء والأمهات بدعوى أنهم لم يحسنوا إليهم. إذا كان أحسانك إلى أبيك وأمك إنما هو جزاء لإحسانهم فهذا ليس من الإحسان فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ مَنْ إِذَا قَطَعَتْهُ رَحِمُهُ وَصَلَهَا " أخرجه الترمذي.

فيجب على المسلم أن يكون بارا بأبويه واعلم أنك صغير عندهما مهما كبرت وهذه حقيقة ينبغي ألا نغفل عنها لأننا قد نجد العتاب من آبائنا وأمهاتنا وقد شابت لحانا وحُق لهم ذلك .

فلذلك ينبغي أن تكون متحرزا في برهم والإحسان إليهم في جميع الأحوال إلا إذا أمرك بمعصية فلا سمع ولا طاعة، فالطاعة لله عز وجل

ولرسوله ﷺ، قال الله عز وجل: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: ١٥]، ومع ذلك ﴿قُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾.

فإذا كان مسلمين تدعون لهما بالرحمة، ولا تقل لهما أف وهو أدنى الكلام ولا تنهرهما فكيف بمن يضربهما ويسيء إليهما نعوذ بالله من الخذلان.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قَالُوا يَا رَسُولَ الله: هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» متفق عليه .

وذكر النبي ﷺ الكبائر كما في حديث عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَبَائِرِ، قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَقَوْلُ الزُّورِ» متفق عليه .

وعن أبي بكرة قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ» .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ " أخرجه البخاري(٦٦٧٥)

وعن المغيرة بن شعبة «إِنَّ الله عزَّ وجلَّ حَرَّمَ علَيْكُم: عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ووَأْدَ البَناتِ، ومَنْعًا وهاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإِضاعَةَ المالِ» متفق عليه.

وذكر الأمهات دون الآباء مع أن البر لهما، لأن كثيرا من الناس تمردون على أمهاتهم لضعفهن بينما يكون بارا بأبيه لقوته وسطوته، فلذلك حذر الله من عقوق الأم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا على قوم أدركوا أبائهم وأمهاتهم ثم دخلوا النار، «رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ». قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ الله. قالَ: «مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ النَّار» أخرجه مسلم (٢٥٥١).

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ " أخرجه أحمد (١٩٠٢٧) .

وعن أبي الدرداء قال قال النبي ﷺ: «**الوالِدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّةِ، فإنَّ شئتَ فأضِع ذلك البابَ أو احفَظْه**» أخرجه الترمذي .

فالبر البر يا عباد الله فهو من أعظم أسباب دخول الجنة، والمكرومات العظيمات .

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَذَلِكَ الْبِرُّ، كَذَلِكَ الْبِرُّ " وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ »** أخرجه أحمد (٢٥٣٣٧) .

وجاء في "الأدب المفرد" للبخاري (٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي وَخَطَبَهَا غَيْرِي فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ لَا، قَالَ تُبْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: (إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى الله عز وجل من بر الوالدة)

فانظر إلى ابن عباس رضي الله عنه يرشد هذا القاتل لتكفير ذنبه، وزوال عيبه إلى بر أمه والإحسان إليها بالقول والفعل والعطية وغير ذلك.

فإياك أخي المسلم أن تفرط في حق أبويك، فلهم الفضل بعد الله عز وجل في وجودك وكم سهرا، وكم تعبا وكم حزنا، وكم فرحا، فرحهم لفرحك وحزنهم لحزنك حتى الابن وإن كان مضيعا لحقوق والديه إلى ولكن مع ذلك إذا لحقه شيء تجد أثر ذلك عليها .

فبر الوالدين من أعظم ما يقرب إلى الرحمن، وعقوق الوالدين من أعظم يؤدي إلى النيران. نسأل الله السلامة والعافية.

فعلى المسلم أن يجازي المحسن بإحسانه فإن الله عز وجل يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)﴾. وأبوك وأمك قد أحسنا إليك غاية الإحسان، فأمك قامت عليك وصغيراً تبول و تتغوط في مكانك وتقوم بتنظيفك وإعدادك وتسهر لمرضك، وتتألم لجوعك بل كم جاعت وتعبت من أجلك قال الله عز وجل: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا».

ورأى ابن عمر رضي الله عنه رجلا يحمل أمه على ظهر وهو يطوف بها. فقال له: يا ابن عمر أتراني جاهزيتها. قال: ولا بزفرة من زفراتها حين وضعتك.

وجاء في بعضها أنه قيل له: تحملها وتنتظر وفاتها وكانت تحملك وتنتظر حياتك.

فرق عظيم بين الأمرين تعب الآباء والأمهات على ابنهم من أجل أن يسعد الحياة ويستمر فيها. وإحسان الابن مع انتظار وفاتهما لا سيما إذا كان مريضين أو كان شديدين عليه فلا سواء.

فينبغي لنا أن نبر آباءنا وأمهاتنا وأن نحسن إليهما وأن ندعو لهما حتى بعد موتهما.

وتحسن إلى من كانوا يحسنون إليه وتزور من كانوا يزورونه وتود من كانوا يودونه فإن هذا أجره عظيم ومنزلته رفيعة على ما تقدم .

وما من ذنب أعجل من عقوبته في الدنيا مثل قطيعة الأب والأم، ففي حديث أبي بكرة قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أخرجه أبو داود (٤٩٠٢).

والجزاء من جنس العمل كيف ما كنت مع أبيك سيكون ابنك معك فأحسن إلى نفسك ببر والديك وصلتهما والإحسان إليهما والبذل والعطاء لهما.

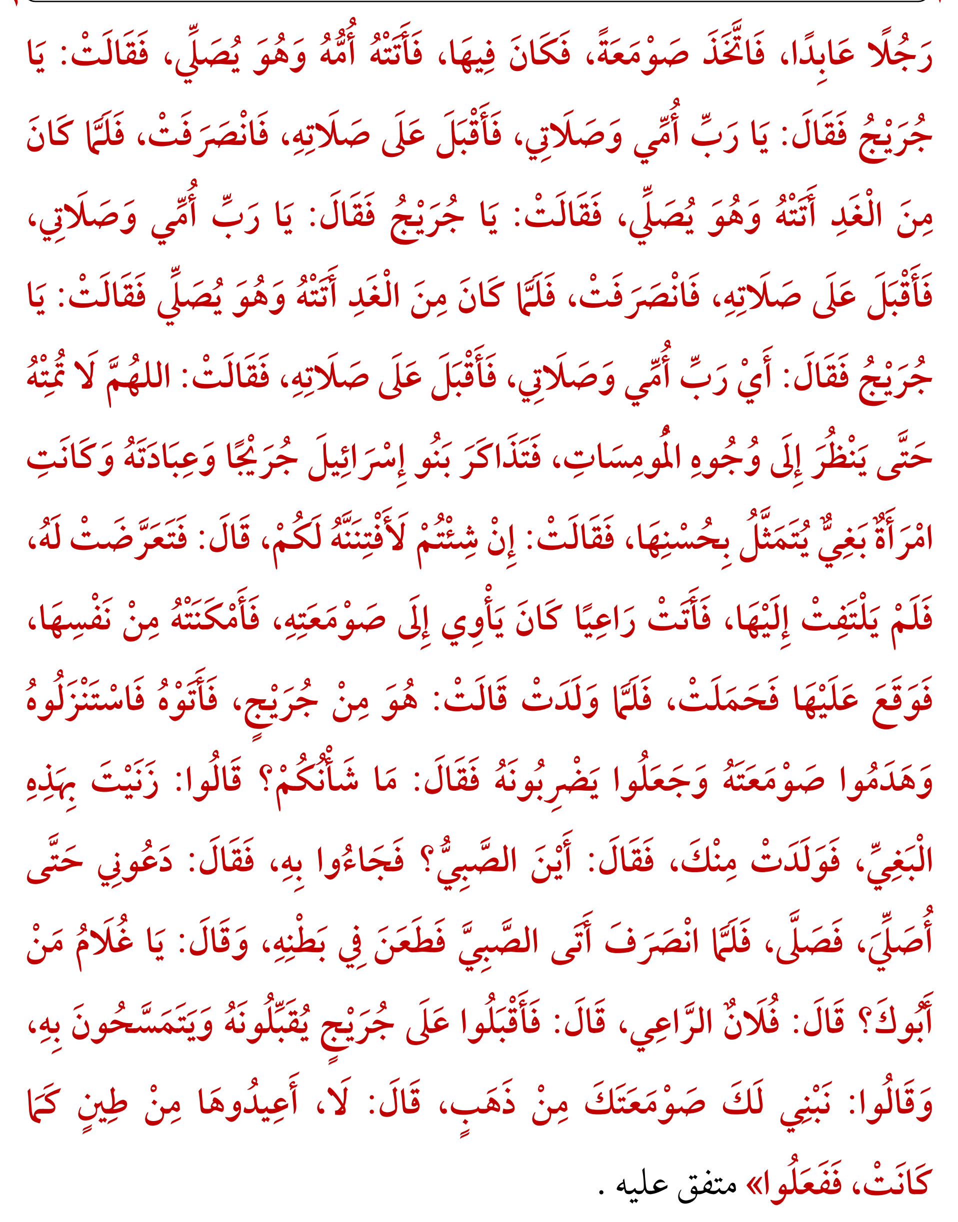
ونحن في آخر الزمان، وقد كثر العقوق والعصيان، ولم يسلم إلا من سلمه الملك الديان سبحانه وتعالى. فينبغي لنا أن نجاهد أنفسنا في هذا

الباب حتى وإن كان الأب غليظا، أو الأم متعبة كما يقال لابد أن تصبر نفسك، وأن تحتسب الأجر من الله .

انظر إلى ثمرة بر الوالدين في الدنيا فضلاً عن الآخرة، فعن ابن عمر ﷺ قال النبي ﷺ: «انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالح أَعْمَالِكُمْ، قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبوانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَىْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا بُوقَهمَا فَوَجَدْتُهمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا».

عليك أن تلازم البر، رفعة لنفسك وشراء لنفسك من الله، وتقديما لنفسك لأنك سائر إلى هذا الطريق، فإن كنت من المحسنين إليهم، فهنيئا لك ابشر بالبر من أبناءك. وإن كنت مسيئا إليهم فابشر بسوى ذلك.

وفي قصة جريج عبره لمعتبر مع ما هو فيه من الصلاة، لكن لم يجب داعي أمه، ووقع له ما وقع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ



رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا» متفق عليه .

فاحذر من ظلم أبيك وأمك، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه.

وقد أحسن من قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة** على المرء من وقع الحسام المهندِ

إذا كنت في ظلمك للبعيد ستجازى على ذلك في الدنيا والآخرة، فكيف بظلم أبيك، وبظلم أمك، ودعوة الوالد مستجابة على ولده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «**ثَلاَثَة لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ**» وذكر «**ودعوةُ الوالدِ على ولدِهِ**» أخرجه الترمذي (٣٥٩٨).

وعَن جَابرٍ قال: قَال رسُولُ الله ﷺ: «**لا تَدعُوا عَلى أَنْفُسِكُم، وَلا تدْعُوا عَلى أَولادِكُم، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُم إِلَّا بِخَيْرٍ**» أخرجه مسلم .

فربما دعا عليك أبوك وأمك بسبب غضبة أغضبتهم فارتفعت إلى السماء فكان بها فساد الحال، والمآل، نسأل الله السلامة والعافية.

فالله الله في بر الوالدين، والإحسان إليهما، والدعاء لهما، والترحم عليهما، والصدقة عليهما بعد موتهما، وإنفاد وصيتهما، وعمل الصدقات الجارية إن كنت ممن تستطيع ذلك ببناء مسجد أو طباعة الكتب، أو شراء برادة الماء، أو حفر بئر أو شراء مصحف، أو غير ذلك من الصدقات التي تصلهم. فإن وصول الصدقة للميت ليس فيها خلاف.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " أخرجه مسلم .

وأما قراءة القرآن على روح فلان أو على نية فلان فهذا من البدع المحادثات التي لا تصل إلى الأبوين، ولا إلى غيرهم، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١)﴾.

نسأل الله عز وجل أن يعيننا وإياكم على بر آبائنا وأمهاتنا، وعلى أداء الحقوق التي أوجب الله علينا، فقد امتدح الله من يصل ما أمر به فقال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

وأما حديث أبي أسيد عند أبي داود (٥١٤٢) عن أبي أُسَيدٍ مالكِ بنِ ربيعة السَّاعديِّ، قال: بينا نحنُ عندَ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- إذ جاءهُ رجل مِن بني سَلِمةَ، فقال: يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم -، هل بقي مِن بِرِّ أبوَيَّ شيٌ أبَرُّهما به بعدَ موتِهما؟ قال: "نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهدِهما من بعدِهمَا، وصِلَةُ الرحِمِ التي لا توصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صَدِيقِهما"، فهو ضعيف في سنده علي بن عبيد الله الأنصاري

مجهول، وعبد الرحمن بن سليمان ضعيف، لكن المعنى "الصلاة عليهما": الدعاء لهما. و«الصدقة عليهما» ثابتة ليس فيها خلاف، وأما أن تصلي لهما مع صلاتك بمعنى أنك تصلي لك صلاة وتصلي لهم الصلاة المعهودة من ركوع وسجود فهذا لا يصل إليهما.

ومن حسن الأدعية في هذا الباب: قول إبراهيم عليه السلام، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾. وقول نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾.

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الرابع عشر: الغلو والجفاء[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

نذكر في هذا المجلس أمرين حصل بهما الضرر الديني والدنيوي ويحصل بهما الضرر في الدنيا و الأخرة وقل من يسلم منهما ألا وهما: [الغلو والجفاء].

والإفراط والتفريط ، والتشدد والتساهل وغير ذلك من المسميات فهذان المرضان أَثَّرَا على أكثر الناس وأفسَدَا معايشهما كما فَسدت أديانهما ولذلك حذر الله عز وجل وحذر رسوله صلى الله عليه وسلم منهما لأن دين الله عز وجل وسط بين الغالي فيه والجافي فيه، ووسط بين المتنطع والمتساهل.

قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي عدلاً خيارا في جميع شؤونهم القولية والفعلية والاعتقادية.

أهل الإسلام المتابعون للنبي عليه الصلاة والسلام هم العدل الخيار مع الموافق والمخالف، وفي حال الرضا والسخط، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعونَ ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعونَ ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعونَ » أخرجه مسلم .

[1] كان هذا المجلس في السابع عشر من رمضان لعام ١٤٤١ هـ

فإن قلنا بأن هذا خبر فخبر النبي صلى الله عليه وسلم واقعٌ ومعناه أن اللعن قد وقع على هذا الصنف البغيض، وإن قلنا بأنه دعاء فأكثر أدعية النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة، فكن حذراً على نفسك أن تصاب بالهلاك، وأنت تحسب أنك تحسن صنعاً .

وقد حذر الله عز وجل أهل الكتاب من الغلو والجفاء وهو تحذيرٌ لنا، فقال عز وجل: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [النساء :١٧١] ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧].

إذ قد غلا النصارى في عيسى حتى عبدوه وألَّهوه ودعوه ورجوه من دون الله عز وجل وزعموا أنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثة وغير ذلك من الأقوال البائرة .

وجفاه اليهود حتى زعموا أنه ولد زنية ومكروا لقتله لولا أن الله عزوجل رفعه إليه .

وهكذا في باب العبادات ابتدعت النصارى كثيراً من العبادات وترك اليهود كثيراً من الأعمال الصالحات، فضلوا وأضلوا، وقد قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى.

وقد أحسن من قال:

وهل أفسد الدين إلا الملوك**وعباد سوء ورهبانا

فالفاسد من هذه الأمة إما بالغلو أو الجفاء وله حظٌ من متابعة اليهود و النصارى والسالم هو المتابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعلى المسلم أن يحتاط لدينه وأن يكون عاملاً بما يرضي الله فعن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ: **"الْقُطْ لِي حَصًى"** فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: **"أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا"** ثُمَّ قَالَ: **"أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»** أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٩) .

وما من عملٍ من أعمال الإسلام إلا وللشيطان فيه نزغتان نزغةٌ إلى الغلو ونزغةٌ إلى الجفاء لان الشيطان يبحث عن طريقة إغواء الإنسان فإن رآه من



الحريصين على العمل بالدين أتاه من باب الغلو وإن رآه من باب المفرطين جاءه من باب الجفاء.

فأغلق على الشيطان المداخل وإياك أن تكون في حبائله فإنه سيُرديك فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عِبَادَتِهِ فِي السِّرِّ، قَالَ: **فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَسْأَلُونَ عَمَّا أَصْنَعُ، أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي "** متفق عليه.

فهؤلاء ثلاثة من أهل الصلاح ؛ والخير والمحبة جاءوا إلى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم؛ كيف يصلي؛ ويصوم؛ وينام؛ ويقوم فلما أخبروا بأعمال النبي صلى الله عليه وسلم من صلاةٍ وصيامٍ وقيامٍ وذكرٍ ودعاءٍ كأنهم تَقَالُّوهَا يعني رأوها قليلة ؛ وقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه فله أن يعمل هذه الأعمال ثم قال أحدهم «أما أنا فلا أتزوج النساء » يريد أن يتبتل ويتفرغ للعبادة

وقال الثاني «وأما أنا لا انام الليل» يريد أن يحيي الليل بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن

وقال الثالث «وانا أصوم فلا أفطر» يريد أن يصوم الدهر متقرباً به إلى الله عز وجل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

فقام خطيباً مغضباً فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا قالوا نعم يا رسول الله قال أما اني أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي.

فالبعد عن السنة هلكة وعن عبدالله بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ »نشاط وقوة وإقبال « و لكلَّ شِرَّةٍ فترةٌ » كسل وبُعد وتساهل « فمَن كانَت فترتُهُ إلى سنَّتي فقد رشد ومَن كانَت فترتُهُ إلى غيرِ ذلكَ فقَد ظل» أو « هلَكَ » أخرجه أحمد .

ولو تأملنا الساحة الإسلامية لوجدنا أن الفساد الحاصل في الأمة إما بسبب الغلو أو الجفاء سواءً في المسائل العقدية أو العملية أو الفقهية وغير ذلك من المسائل.

فنجد أن الرافضة والصوفية والباطنية ومن اليهم غلوا في تعظيم الأموات حتى بنوا على قبورهم القباب وصرفوا لها النذور وزاروها مع زهدهم في زيارة البيت الحرام واسبلوا عندها الدمعات وأعطوا لها النذور العظيمات وزعموا أنها محبة الصالحين وأيم الله إنها المحادة لدين رب العالمين والمشاركة لله عز وجل في خصائصه من ربوبيةٍ وألوهيةٍ ونحو ذلك

إذ يزعمون أن كثيراً من قبورهم تجلب المنافع وتدفع المضار وربما سألوها الأولاد والأرزاق والأزواج والحاجات وغير ذلك حتى قال القائل:

(يا خائفين من التتر ** لوذوا بقبر أبي عمر)

والآخر يقول:

(هت لي منك يا ابن موسى اغاثة **اغاثة في سيرها حثاته)

وكم هي أقوالهم المنكرة وأفعالهم المخالفة لدين رب العالمين.

وجفا أناسٌ في هذا الباب فلم يرعوا لقبورٍ حرمة بل داسوها وجعلوها مرابط لدوابهم وطرق لسياراتهم وقليلٌ من يراعي حرمة القبور ويعتقد أن «كَسْرُ عَظْمِ الميِّتِ ككَسْرِهِ حيًّا» .

وهكذا في اغلب أمور الدين تجد أن أناس يتنطعون فيفسدون على الناس معائشهم كما هو حال أصحاب تنظيم القاعدة وداعش والجماعات الجهادية ومن اليهم حيث يكفرون المسلمين بدعوى انهم حكموا بغير ما انزل الله أو بانهم والوا الطواغيت أو بسبب الصلح الذي يجري بين المسلمين والكافرين ونحو ذلك .

وأناسٌ تقربوا من الكافرين حباً ومودةً ومناصرةً ومظاهرةً وتشبهاً إلى غير ذلك.

وعن عبد الله بن عمر ﵄ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « من تشبَّهَ بقومٍ فَهوَ منْهم ».

ويقول الله عزوجل قبل ذلك:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

فلا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط ولكن بين ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ [النساء:١٣٥] والقسط في المسائل الدينية هو ملازمة هدي محمد صلى الله عليه وسلم خير البرية.

فينبغي للمسلمين أن يحتاطوا في شأنهم فلا تأخذ دينك إلا ممن سلمت عقيدته وطريقته وعليك بالمبادرة إلى مرضاة الله لا غلو ولا جفاء ففي الصلاة غلا أناسٌ فادخلوا مثل صلاة الرغائب وصلوات ما أنزل الله بها من سلطان وأناس ضيعوا الصلاة فإياك أن تكن من الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه وان تكون من الذين ضيعوا ما امر الله، قال الله عز وجل:﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] عذاباً شديداً موجعاً والعياذ بالله.

وفي باب الزكاة أناسٌ يتنطعون ويريد أن لا يدفع الزكاة إلى الفقير طعاماً أو شراباً حتى لا يبددها هاهنا وها هنا وهذا قد أساء إذ تصرف في مال الغير بدون إذنهم.

وآخر يتحيل على الزكاة فيهب لامه ولزوجه ولولده ويجعلها في باب الهدايا ها هنا وها هنا ويمنع المسكين مما فرضه الله له وشرعه له فكن ملتزماً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي باب الصيام أناسٌ يحتاطون في سحورهم ويؤخرون في فطورهم وأناس ربما لم يبالوا بهذا وهذا فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يَزَالُ النَّاسُ بخَيْرٍ ما عَجَّلُوا الفِطْرَ » أخرجه مسلم .

وكان هديه صلى الله عليه وسلم تأخير السحور وقال: « تَسَحَّرُوا فإنَّ في السَّحُورِ بَرَكَةً » أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: « فَصْلُ ما بيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ» أخرجه مسلم .

وأناسٌ لا يفطرون حتى يرى الشاهد يرى النجم كما هو صنيع المتعمقين من الرافضة وغيرهم فيجب على الإنسان أن يكون صومه وفق صوم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى طريقة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي باب الأسماء والصفات غلاة المعطلة في التنزيه، فعطلوا الله من أسمائه وصفاته، أو بعضها عن دلالتها الحقة، وجفا الممثلة فمثلوا الله بمخلوقاته، وسلك أهل السنة المذهب الوسط: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} في أسمائه وصفاته، فسلموا من التمثيل {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فأثبتوا له ما أثبت، وما أثبته له رسوله ﷺ.

عباد الله إن التشدد والجفاء مرضان خطيران لا يأتيان بخير وكلاهما مفضي إلى النار وبئس القرار كلاهما دينٌ لم يشرعه الله ولم ينزله ولم يكن على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكن يا أخي المسلم على طريقٍ وسط في جميع الأبواب العلمية والعملية ؛ في المعاملات من بيعٍ وشراءٍ وهبةٍ وعطيةٍ وعمرى وعتق وسلام ونحو ذلك ولا اهدى من طريق النبي عليه الصلاة والسلام، قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] فهذا هو السبيل الموصل إلى مرضاة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ: « مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ » متفق عليه.

وفي هذه الأيام قد تجد من ينادي إلى الوسطية ويريدون بها تمييع الدين والا فإن الوسط والعدل الخيار هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لا إلى الغلو ولا إلى الجفاء ولكن بين ذلك.

وأختتم بكلام شيخ الإسلام في الواسطية: وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ. وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغِيْرِهِمْ. وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ. وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- بَيْنَ الرَّافِضَةِ والْخَوَارِجِ. اهـ

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس عشر: السماحة والتشديد والمشاحة[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن خلقٍ عظيم، وهو السماحة ويضاده والمشاحة.

فالدين الحق قائم على السماحة والرفق، وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة كما في حديث ابن عباس، وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه : «لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية» أخرجه الترمذي (٣٩٩٨).

فدين الإسلام دينٌ قائمٌ على السماحة والتيسير في العبادات والاعتقادات والأخلاق والمعاملات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم:« إنَّ هذا الدِّينَ يُسرٌ ولنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا» أخرجه البخاري.

فهو دين بعيد عن الغلو والجفاء، والشدة، والعسر، قال الله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ

---

[1] كان هذا المجلس في الثامن عشر من رمضان لعام ١٤٤١هـ

قَبْلُ} [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٧]

وعن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: « رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى » أخرجه البخاري .

فإن كان خبراً عنهم فنعم الخبر، وإن كان دعاء فدعاء النبي ﷺ يستجاب غالباً، فتعرض لأسباب حصولك على دعاء رسول الله ﷺ لك .

وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان فقال «الصبر والسماحة» أخرجه أبو عبيد في الإيمان، وغيره من حديث عمرو بن عبسة وله شواهد، فأفضل الإيمان الصبر على طاعة الله وعلى أقداره وعن معاصيه.

والسماحة سماحة النفس في جميع معاملاته في بيته ؛ ومع جيرانه؛ وأرحامه بل مع أعدائه فهي خلقٌ عظيم تميز به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأمر به وحث عليه ورغب فيه.

وقد قال :« أَقِيلوا ذَوِي الهيئاتِ عَثَراتِهِم » أخرجه أبو داود (٤٣٧٥) عن عائشة رضي الله عنها .

وهذا من السماحة اذا اخطأ عليك رجلٌ من ذوي الهيئات ربما غلبته نفسه أو أزه شيطانه وفي الأصل أنه ليس من أهل هذا الشأن فعاجله بالإقالة والعفو والمسامحة والجزاء من جنس العمل فإذا كنت من أهل السماحة جاءتك السماحة وان كنت من أهل المشاحة حصلت عليك المشاحة.

وقد قيل بأن المروءة الفصاحة والسماحة، فعن حذيفة وأبي مسعود قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم كان رجل يبايع الناس وكان يقول لغلمانه انظروا المُعسِرِ وتجاوزوا عن المُوسِرِ لعلَّ اللهَ أن يتجاوَزَ عنَّا فلما لقي الله عز وجل بكثير عملٍ غير صالح إلا انه كان متميزاً بهذا الخلق العظيم وهذه الصفة الجليلة قال الله عز وجل :«نحنُ أحقُّ بذلِك منه تجاوَزوا عن عبدي» متفق عليه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ، مَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَشَقَّ عليهم، فَاشْقُقْ عليه، وَمَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَرَفَقَ بهِمْ، فَارْفُقْ بهِ » أخرجه مسلم .

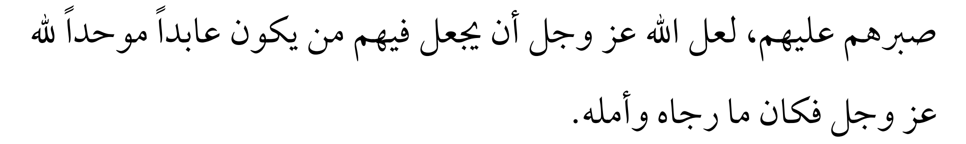
فالسماحة سببٌ لرفق الله بك وعونه لك ؛ فعن أبي هريرة ﵁ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيهِ» ؛ « ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ الله في حَاجَتِهِ ».

وهذا الخلق منه الجبلي إذ يكون هذه النفس طبيعتها السخاء والسماحة والتجاوز والعفو والصفح ومنه المكتسب الذي يحتاج إلى ترويض النفس عليه ابتغاء الأجر والمثوبة وعن جابر ﵁ قال: «ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أمرٌ إلا أمر فيه بالعفو» ؛ وذلك لسماحة نفسه .

بل جاءه الرجل يقول «يا رسول الله اني زنيت فأعرض عنه؛ اني زنيت فأعرض عنه ؛ اني زنيت فأعرض عنه حتى قالها الرابعة» متفق عليه، فلم يكن معاجلاً صلى الله عليه وسلم بالعقوبة ولكنه كان يستأني ويعفو ويصفح.

ولا أعظم مما حصل له من كفار قريش وكفار الطائف من الأذى ومع ذلك يأتيه جبريل فيقول له هذا ملك الجبال مره بما شئت فيقول: «إني لأرجو أن يُخْرِجَ الله مِن أصلابِهِم مَن يعبدُ الله ، لا يشرِكُ بِهِ شيئًا» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

أي درجة من السماحة كان عليه رسول الله ﷺ يُرجم حتى تُدمى رجلاه ولشدة ما نزل به لم يفق إلا بقرن الثعالب من الطائف، وكان

صبرهم عليهم، لعل الله عز وجل أن يجعل فيهم من يكون عابداً موحداً لله عز وجل فكان ما رجاه وأمله.

وتحتاج السماحة في معاملتك مع زوجتك فاسمح ولا تفضح وفي معاملتك مع ولدك ما استطعت إلى ذلك سبيلا استأني ولا تستعجل وغلب جانب السماحة مع الأخذ بالحزم .

وأعظم من ذلك كن سمحاً في عبادتك ؛ إياك والشركيات؛ والبدع والخرافات ؛ ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلال وهي سببٌ لخزي الدنيا والآخرة نسأل الله السلامة والعافية.

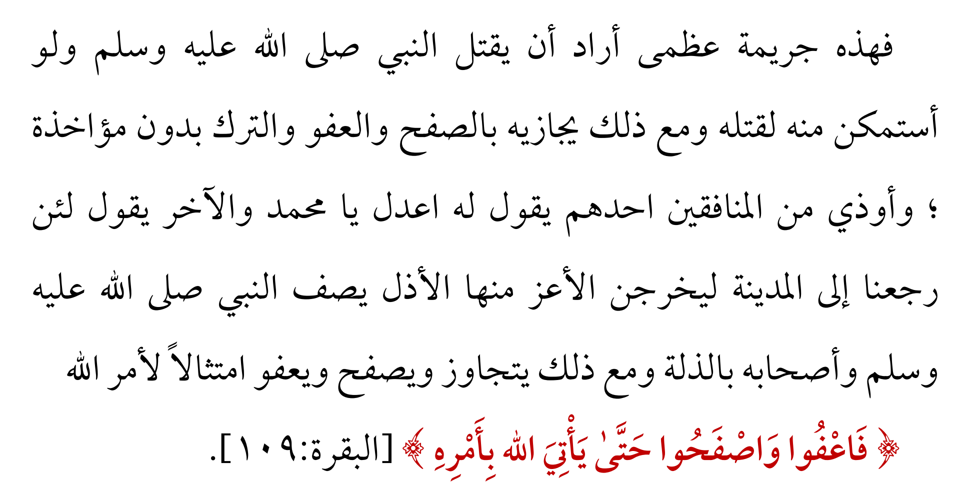
والسماحة ناتجةٌ عن كرم النفس وسلامة الصدر وحسن الخلق فتجد عند صاحبه العفو والكرم والشجاعة والصفح والتجاوز والإحسان والبذل.

إذ أن الكريم لا يتخلق بأخلاق أهل اللئم الذين اذا تمكن من الإنسان لا يقيل له عثرة فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: « يا ابْنَ الأكْوَعِ: مَلَكْتَ، فأسْجِحْ » متفق عليه .

ومعنى الحديث أي ارفق وأحسن العفو واصفح إن كان في ذلك صلاح له وصلاح للمجتمع الذي هو فيه قال الله عز وجل:﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وأما المشاحة التي اعتادها الإنسان فتؤدي إلى تنافر القلوب وزيادة الشحناء والبغضاء فإن أساء اليك ؛ لا تنسى له الإساءة ؛ إن قصر في حقك لا تنسى له تقصيراً فيظل قلبك ممتلئاً عليه وتريد الانتقام لنفسك فتزداد حسرتك وتخالف هدي نبيك صلى الله عليه وسلم وتتخلق بأخلاقٍ غير ممدوحة عند العقلاء فضلاً عن المستقيمين؛ فالعقلاء يحبون الكرم والسماحة والتجاوز، والعفو والصفح، وغير ذلك من معالي الأمور.

وقد أمن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الناس بسبب تجاوزه ؛ وسماحته؛ بسبب عفوه؛ بسبب صفحه إذ كان ممتثلاً لقول الله عز وجل: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ١٣]، وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ بْنَ خَصَفَةَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: " اللهُ " فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ " قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ قَالَ: " وأَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله؟ " قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ» متفق عليه واللفظ لأحمد .


فهذه جريمة عظمى أراد أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم ولو أستمكن منه لقتله ومع ذلك يجازيه بالصفح والعفو والترك بدون مؤاخذة ؛ وأوذي من المنافقين احدهم يقول له اعدل يا محمد والآخر يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالذلة ومع ذلك يتجاوز ويصفح ويعفو امتثالاً لأمر الله ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ ﴾ [البقرة:١٠٩].

فارح نفسك بالسماحة في بيعك في شرائك في هديتك في هبتك في أخذك في كلامك في عفوك في صفحك في جميع معاملاتك؛ ارح نفسك فإن فضل السماحة يعود إلى النفس أولاً تبقى مطمئنة غير مبالية؛ لا سيما اذا اقترن بالسماحة الاحتساب من الله عز وجل تعلم أن من أسماء الله العفو والغفور والرحيم وغير ذلك من الأسماء الحسنى فتتخلق بما دلت عليه من العفو الصفح والتجاوز والإحسان والكرم.

وأما شؤم المشاحة فيعود عليك فتجد أن بعضهم مليء من الغل والحقد والحسد وسوء الحال فالحياة لا تخلو من المنغصات لا في صباحك ومساءك ولا في ليلك ونهارك ولا في حضرك وسفرك ولا في صغرك ولا كبرك فإذا كان هذا هو الحال فلا أحسن من إراحة الصدر بالسماحة والتجاوز

والإحسان وغير ذلك من الأخلاق الحميدة التي دعا اليها الإسلام، وقد أحسن من قال:

ولا ترجو السماحة من بخيل**فما في النار للظمآن ماء

قال ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ٢٤٢):

الواجب على العاقل إذا لم يعرف بالسماحة أن لا يعرف بالبخل كما لا يجب إذا لم يعرف بالشجاعة أن يعرف بالجبن ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة إذ البخل بئس الشعار في الدنيا والآخرة وشر مَا يدخر من الأعمال في العقبى . اهـ

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الصبر والسماحة وان يوفقنا لطاعتهم ومرضاته

والحمد لله رب العـالمين.

المجلس السادس عشر: الْحِلْمُ والْأَنَاةُ[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن خلقين ما أحوج الناس إلى الاعتناء بأحدهما والبعد عن الثاني ألا وهما الأناة و العجلة .

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي صلى الله عليه وسلم امتدح أشج عبد قيس وقال: « إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يحبُّهما اللهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» أخرجه مسلم .

الحلم وهو التحلي بالصفح و الصبر و التجاوز، والأناة: عدم العجلة.

وفي رواية: «قَالَ: الْحَمْدُ اللهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ».

عن سهل بن سعد ﵁: « التَّأَنِّي من اللهِ ، و العَجَلةُ من الشيطانِ» أخرجه الترمذي .

[1] كان هذا المجلس في التاسع عشر من رمضان لعام ١٤٤١هـ

أي أن التأني مطلوب في كثير من الأمور لأن العجلة والطيش سبب للندم .

قال ابن حبان روضة العقلاء (ص: ١٢١):

ومن شيم الأحمق العجلة والخفة والعجز والفجور والجهل والمقت والوهن والمهابة والتعرض والتحاسد والظلم والخيانة والغفلة والسهو والغي والفحش والفخر والخيلاء والعدوان والبغضاء

وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه فإنه يكون قلبه في طرف لسانه مَا خطر على قلبه نطق به لسانه

والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل ويتكلم في الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه بأقل . اهـ

فالتأني سبب من أسباب التفكر في العواقب ومن تفكر في العاقبة غالباً يسلم فلو أن رجلاً إذا غضب تأنى ساعة أو ساعتين يذهب ما في قلبه من الغضب ويعلم أن المسألة كانت أقل مما وقع فيه بل من عجيب شأن الطلاق الذي يقع فيه كثير من الناس بسبب عدم التأني والتزام الأمر النبوي عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه ، فَقَالَ: «أنه طلق امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَسَأَلَ عُمَرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ أَنْ يُرَاجِعَهَا، ثُمَّ يُطَلِّقَ مِنْ قُبُلِ عِدَّتِهَا»

فلو أن رجلاً غاضب امرأته ثم وقع في نفسه أن يطلقها فكانت في حيضٍ فاستئنى ربما بعد الحيض عادت الأمور إلى مجاريها و ذهب ما في نفسه.

فالتأني من الله قال الله عزوجل: ﴿ خُلِقَ الإِنسانُ مِن عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء:٣٧].

فتدل الآية على الإنسان بطبيعته عجول في جميع شأنه إذ أنه لا يفكر في العواقب .

فلنعود انفسنا التأني في معاملاتنا حتى لا يقع منا الندامة على ما يصدر منا من أفعال ولأن الشيطان حريصٌ على إدخال الحزن على الإنسان فإنه يعاجله في اكثر شؤونه.

بينما المسارعة والعجلة هي ما تكون في فعل الخيرات، قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة :١٤٨]؛ ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران:١٣٣] ؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» أخرجه مسلم .

فكل هذه أوامر من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وسلم على المسارعة والمبادرة لما يؤدي إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، فعَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ:

«كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» أخرجه البخاري .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: « تعجَّلوا الحَجَّ -يعني الفريضة- فإنَّ أحَدَكم لا يَدْري ما يَعرِضُ له» أخرجه أحمد (٢٨٦٨)، وفي سنده إسماعيل بن خليفة لكنه في الباب .

فإن الإنسان لا يدري لعله أن ينقطع فيعجز ببدنه أو يعجز بماله أو لتعذر الأمن أو لما يحدث من الأمور التي قد تحول بينه وبين الطاعة قال الله عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [الحديد:٢١].

فأمر بالمسارعة والمسابقة إلى الخيرات؛ والمبرات لأن الإنسان يسابق ما يطرأ عليه من الشواغل التي قد تحول بينه وبين طاعة الله فعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»

واغتنام هذه الأمور إنما يكون بالمسارعة والمبادرة إلى اغتنام الأوقات والإكثار من الطاعات والقربات ففي شأن الدين المسابقة المسابقة وفي شأن

الأمور الدنيوية على الإنسان أن يكون متأنياً غير مستعجل انظر إلى شأن النبي صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر أسر سبعين وكان قد قتل من المشركين سبعين فكان رأي عمر رضي الله عنه أن يقتلوا أسوة بمن سبقهم ورأيه كان صائباً بالنسبة لتأديب الكافرين والمشركين وكان رأي أبي بكر الاستئناء بهم لعل الله عز وجل أن يهديهم وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر نعم قد عرض عليهم العذاب لكن قد عفا الله وكانت العاقبة للاستئناء حيث صار اكثر هؤلاء السبعين من أهل الإسلام انقذهم الله عز وجل من النار وصاروا نصرة لدين الإسلام، والحديث أصله في مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه .

فالاستئناء عاقبته طيبة؛ عاقبته حميدة سببٌ للنظر إلى العواقب بينما صاحب الطيش والعجلة ربما لحقه الضرر الديني والدنيوي ولذلك قال عمر « إياك وعثرات الشباب» لأن الشباب أكثر عجلة من الشيوخ ؛ الشيوخ قد ذهبت منهم حظوظ النفس وتعلموا من التجارب في كثير من الأمور

فالله الله في العمل بكل شيءٍ بحسبه اذا جاء نداء الله الصلاة نستعجل؛ وإذا جاء أمر الله بالصيام نستعجل إذا جاء أمر الله بالحج نستعجل ؛ وإذا جاء امر الله بالإنفاق في سبيل الله نستعجل؛ اذا جاء الأمر بالذكر نستعجل

ولا نسوف أمور الطاعة لا تسوف فيها وتقول في الغد أو بعدين ؛ « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ » فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله فقال: « **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا** » وجاء في لفظ « **فِي أَوَّلِ وَقتِها** ».

مع أن هذه اللفظة لم تثبت لكن العمل عليها لأن الإنسان يبادر بالطاعة ويتقرب إلى الله عز وجل بها وتبرأ ذمته بأدائها بينما إذا تأنى وتأخر فاته.

ولو تأملنا حال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الحديبية؛ حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على دخول مكة ولو أدى ذلك إلى القتال لحرصهم على الخير وطمعاً في وعد الله عز وجل: ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ** ﴾ [الفتح:٢٧].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على مصلحة الإسلام والمسلمين فلذلك كاتب الكفار على شروطٍ في ظاهرها مجحفة بأهل الإسلام ولكنها مع الصبر والتأني كان فيها نصرة أهل الإسلام.

وُقِّعَ الصلح والمسلمون يبكون منه ويتألمون من وطأته وشروطه فأنزل الله عز وجل: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ [الفتح:١].

قال عمر يا رسول الله أو فتح هو؟ قال نعم.

ولذلك يرى كثير من أهل العلم أن الفتح العظيم هو صلح الحديبية لأن الكفار اعترفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفعلاً ما هي إلا ليال وأيام

ويظهر بركة هذا الصلح وهذا التأني الذي حصل من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دخول مكة حيث تنازل الكفار عن مسألة رد من جاءهم من المسلمين بعدما أوقع فيهم أبو بصير؛ كذلك نسخ الله عز وجل رد المؤمنات إلى الكفار؛ ووقع من الكفار نقض الصلح فكان بعد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر وأباحها الله عز وجل له بسبب نقضهم لهذا الصلح مكنه الله منهم.

وحتى بعض أمور الطاعات لا يجوز أن تستعجلها قبل وقتها بالصلاة قبل وقتها فلا يجوز أن تعاجل الفطر قبل وقته كما أنه لا يجوز أن تؤخر الفطر عن وقته، فعن أبي امامة رضي الله عنه عند الحاكم قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِضَبْعِي، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا، فَقَالَا لِي: اصْعَدْ. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُ. فَقَالَا: إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ ... فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةً أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ ».

وكانت العرب تسمي العجلة أم الندامات، والله المستعان .

والحمد لله رب العالمين

المجلس السابع عشر: القوة و الضعف[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن أمرين ممدوحٌ محبوب ومذموم مبغوض ألا وهما القوة والضعف .

فالقوة من صفات الكمال ولهذا سمى الله عز وجل نفسه بالقوي أي ذي القوة فلا يعجزه شيء ولا يكرثه شيء، قال الله عز وجل: ﴿ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

فهو القوي في ذاته وصفاته وأفعاله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨].

ثم إن الله عز وجل جعل النبوة والرسالة في الأنبياء والمرسلين وهما أقوى الناس عزيمة و أقواهم عملاً و أقواهم إخلاصاً و أقواهم شجاعة وأقواهم بذلاً وأقواهم عطاء

[1] كان هذا المجلس في العشرين من رمضان لعام ١٤٤١هـ



وفي حديث أبي هريرة عند مسلم قال رسول الله ﷺ: « المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعيفِ وفي كلٍّ خيرٌ » .

مؤمنان كلاهما موحد لله ومصلي وصائم وحاج ومعتمر وغير ذلك من أبواب الخير إلا أن أحدهما أقوى في استقامته؛ أقوى في علمه؛ أقوى في عمله؛ أقوى في تبليغه فهذا احب إلى الله لكثرة ما يتقرب به من الطاعات والقربات والمؤمن الضعيف وان كان فيه خير إلا إنه دون ذلك ويقول النبي صلى الله عليه وسلم مرشداً للمؤمنين: « احْرِصْ على ما يَنفعُكَ» .

إياك أن تبقى على حالٍ واحد من الضعف والفتور والكسل ولكن احرص على ما ينفعك واستعن بالله على العمل لان الله عز وجل هو الذي يعين العبد فإذا أعانه قواه والهمه رشده وهداه.

وكان مما فرض الله علينا أن نقول في كل ركعة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وكان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: « اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه .

إن القوة الإيمانية مطلوبة من الرجال والنساء على حدٍ سواء؛ مطلوبة من جميع المكلفين في جميع سنوات تكليفهم ووقد أمر الله عز وجل بأخذ الدين

بقوة، فقال: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢]، وقال لموسى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥] .

وقال: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٦٣]

فعلى الإنسان أن يكون قوياً في أخذه بالدين.

ومن أمثلة ذلك الصلاة تظهر القوة فيها بالمحافظة عليها في أوقاتها ؛ وبالإتيان بها على أوجه كمالها ؛بالمبادرة لها قبل كل عملٍ يحول بينك وبينها ؛ وبالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وعليها فقس.

فإذا أردت أن تكون قريباً من الله فكن قوياً في التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على قوة أصحابه فيقول لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عَبْدَ الله، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» أخرجه مسلم (١١٥٩) .

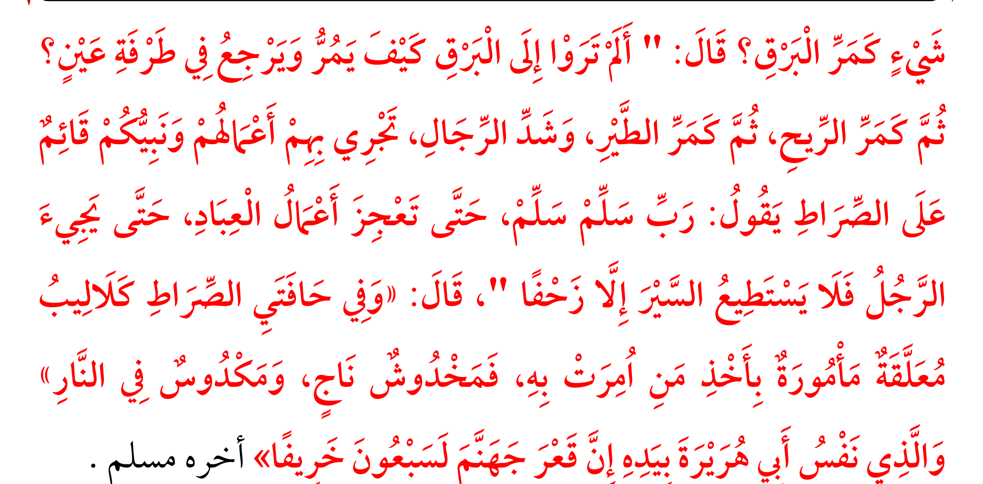
وعن عبد الله بن سرجس قال كان صلى الله عليه وسلم يقول في سفره « وأعوذُ بكَ مِن الحَوْرِ بَعدَ الكَوْرِ » أخرجه مسلم (١٣٤٣) .

فيدعو الله عز وجل الثبات والتمسك بالدين بقوة وأن لا يرجع القهقرة لان الشيطان يطمع في ضعيف الدين أما القوي فقد يحفظ منه بتوفيق الله له

ثم بكثرة أذكاره وصلواته وغير ذلك، قال الله عزوجل: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]

فيحرص الشيطان على الضعيف في العلم يأتيه بالبدع والخرافات؛ فيأتيه بالشركيات؛ ويأتيه البليات ويحرص على الضعيف في العمل وربما تسلط عليه فاتاه بالشهوات والشبهات فيفسد عليه دينه ودنياه وأولاه وأخراه.

والناس في القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا وقوتهم الإيمانية، يعرف ذلك بمرورهم على الصراط، ففي حديث عأَبِي هُرَيْرَةَ، وحُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله "، قَالَ: " فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ



شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا "، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا» أخرجه مسلم .

فإياك أن تكون ضعيفاً في دينك ومن رحمة الله عز وجل بعباده أنه لم يعلق الدين بالقوة البدنية وإن كانت القوة البدنية مفيدة في جهاد الأعداء؛ وفي أداء الفرائض والواجبات ؛ في كثيرٍ من الأمور لأن الصحة نعمة من الله يستطيع الإنسان بها أن يصل إلى كثير من الدرجات العظيمة فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ» أخرجه البخاري، وكان طور الإنسان على الضعف وعذر في ذلك الضعف ثم كان في أخر زمانه على الضعف، قال تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم:٥٤]

ويعذر في ضعفه وإنما يؤاخذ بزمن قوته ونشاطه إن فرط فيه، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَزولُ قدَما عَبدٍ يومَ القِيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربَعٍ : .. عَن عُمُرِهِ فيمَ أفناهُ، ، وعَن شبابِهِ فيما أبلاهُ» أخرجه الترمذي (٢٤١٧) .

فالشاهد أن القوة الإيمانية مفيدة في الدنيا والآخرة والضعف الإيماني ضررٌ في الدنيا والآخرة، وتتفاوت مراتب الناس في الجنة في الجنة على قدر أعمالهم وقوتهم فيها .

فهؤلاء ضعف إيمانهم فدخلوا النار، بينما أصحاب قوة الإيمان قال فيهم رسول الله ﷺ: «يدخل من امتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾[القمر]

ما الذي أوصلهم إلى هذا المستوى؟ انه قوة الإيمان بعد توفيق الرحمن فإياك أيها العبد أن ترضى بالضعف الديني أبداً.

ويستطيع الإنسان أن يكون قوي الإيمان وهو طريح الفراش وهو مشلول وهو عاجز فقير وهو على أي حال قوة الإيمان لا تتعلق بالقوة

البدنية فكم من إنسان يحمل الأطنان ومع ذلك ضعيفٌ في إيمانه لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا شيء من الأركان.

وكم من إنسان ضعيفٌ في بدنه ولكنه من المسارعين إلى رضى الرحمن سبحانه وتعالى فأكرم من الله عز وجل بدرجات أهل العرفان وكان من أهل الصلاح وأهل الخير والمكارم في كل وقتٍ وزمان.

ولهذا دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى رجلين فقال لمن عنده ما تقول في هذا وما تقول في هذا فنظر الرجل إلى احدهما واذا به من كبار العرب ومن رجالات العرب المشهورين فقال هذا رجلٌ من عظماء العرب حريٌ إن قال أن يسمع لقوله وإن خطب أن يزوج وإن شفع أن يشفع قال وهذا ؛ قال: هذا رجل من ضعاف المسلمين؛ من ضعاف المسلمين بدنياً ومالياً و وجاهةً حري إن تكلم ألا يسمع له وإن خطب ألا يزوج وإن شفع ألا يشفع قال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الضعيف: «لَهَذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا» أخرجه البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رضي الله عنه .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وأبي سعيد، قَالاَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالجُنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الجُبَّارُونَ، وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا" متفق عليه .

و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ، جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ " أخرجه أحمد (٧٠١٠) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهُ لَيأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العظِيمُ يَوْمَ الْقِيامةِ لا يزنُ عِنْد اللهَّ جنَاحَ بعُوضَةٍ» أخرجه مسلم .

بينما القوي في إيمانه ربما كانت ساقه مثل أحد فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ " أخرجه أحمد (٣٩٩١) .

وفي فضائل الصديق رضي الله عنه لو وزنت أعماله بأعمال الثقلين خلا الأنبياء لرجحت بهن مع أنه كان ضعيفاً في بدنه حتى ربما كان ثوبه ينزل من على حقوه .



فعن ابن عمر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ يَتَقَعْقَعُ - يَعْنِي جَدِيدًا - فَقَالَ: " مَنْ هَذَا؟ " فَقُلْتُ: أَنَا عَبْدُ الله فَقَالَ: " إِنْ كُنْتَ عَبْدَ اللهِ، فَارْفَعْ إِزَارَكَ " قَالَ: فَرَفَعْتُهُ، قَالَ: " زِدْ "، قَالَ: فَرَفَعْتُهُ، حَتَّى بَلَغَ نِصْفَ السَّاقِ قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: " مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهُ يَسْتَرْخِي إِزَارِي أَحْيَانًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَسْتَ مِنْهُمْ " أخرجه أحمد (٦٣٤٠)، ومع ذلك: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أخرجه مسلم (١٠٢٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ الله، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ الله، مَا

عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» متفق عليه .

فالأمر عائدٌ إلى القوة الإيمانية التي تكون في طاعة الله عز وجل وما سوى ذلك فهو حجة عليه.

فهذا الدين يحتاج منا إلى تمسك بقوة ودعوة بقوة وعمل بقوة وصبر بقوة وشجاعة بقوة وقوة في جميع شؤون الدين فكلما كنت قوياً في دينك كنت محبوباً عند الله والعكس بالعكس.

أسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وان يوفقنا وإياكم لسبل مرضاته .

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن عشر: الدلالة على الخير من الشر والبعد عنه[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

أما بعد:

تمر بنا الأيام تترى وإنما ** نساق إلى الآجال والعين تنظر.

فأنظروا يا وفقكم الله كيف تمضي الأيام والليال والشهور والأعوام لكن لا يستفيد إلا من وفقه الله عز وجل لذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان:٦٢]

ونذكر في هذا المجلس أمرين مهمين أحدهما مطلوب بالفعل والثاني بعدم الترك ألا وهما الدلالة على الخير والإرشاد إليه وعدم ترك ذلك.

لأن الدال على الخير عامل بأمر الله عز وجل، ومتأسي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو من مفاتيح الخير ومن مغاليق الشر ولذلك قال الله عز وجل في وصف هذه الأمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛لماذا؟ ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]

[1] كان هذا المجلس في الواحد والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٤١هـ

فذكر عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الإيمان بالله مع أن الإيمان بالله هو المقدم رتبةً وحقاً لكن لبيان أن من أظهر علامات هذه الأمة الدلالة على الخير والإرشاد إليه والبعد عن الشر والتحذير منه ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

فالفلاح منوطٌ بهذا الأمر أن تكون عاملاً بالخير دالاً ومرشداً إليه .

وأن تكون مبتعداً عن الشر محذراً ومنذراً منه بحيث يكون نفعك لنفسك ولغيرك.

قال الله عز وجل: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ أقسم بالعصر الذي هو الدهر

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ أي كل إنسان في خسارة إلا من اتصف بالصفات المذكورة في هذه السورة .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً وعمل الصالحات التي امر الله عز وجل بها على قدر المستطاع، وهذا هو المتعلق بنفسه.

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ والمتعدي إلى غيره التواصي بالخير والدلالة عليه، اذاً لا يكفي أن تقيم نفسك وتكتفي، فإياك إياك أن يتسلط عليك الشيطان كما قال بعضهم نفسي نفسي؛ وتقول: ديني لنفسي ودين

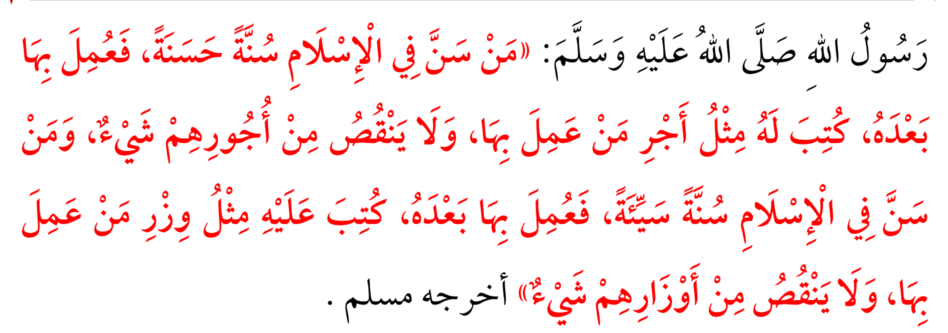
الناس للناس لا وبارك الله فيك، فالفوز بالتواصي بالحق والصبر، وهنيئاً لمن حقق هذا الأمر قال النبي صلى الله عليه وسلم: « الدالُّ على الخَيرِ له مِثلُ أجرِ فاعِلِهِ» أخرجه مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه .

فإذا كنت ترشد إلى الصلاة وتعلم الناس إياها وتحثهم عليها اذا صلى بسبب نصحك وتوجيهك عشرة أو عشرون أو خمسون أو اقل أو اكثر يكون لك كأجرهم .

دللت أيضال على الصدقة؛ والصيام ؛ والتوحيد ؛ والإسلام ؛ وجميع أنواع البر لك كأجر فاعله من غير أن ينقص من أجره شيء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا» أخرجه مسلم .

وفي حديث جرير رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِم الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ



رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم .

وقد قال الله عز وجل مخبراً عن حال دعاة الشر: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

فأمرٌ جلل وعظيم أن تكون دالاً على الخير ومرشداً إليه فتؤجر ويهدي الله بك من شاء من عباده وأن تكون مبتعداً عن الشر محذراً منه فتؤجر ويهدي الله بك من شاء من عباده إذ أن مدار الدين على فعل المأمور وترك المحظور، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة:١٢٤]

قال العلماء ابتلاه بالأمر والنهي فأتى بالمأمور وترك المحظور حتى انه عليه الصلاة والسلام أراد أن يذبح ولده الوحيد حين رأى ما أخبر الله به في قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]

والدال على الخير من أفضل الناس قولاً وفعلاً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣]

قال الحسن البصري : هَذَا حَبِيبُ الله هَذَا وَلِيُّ الله هَذَا صَفْوَةُ الله هَذَا خِيرَةُ الله هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى الله أَجَابَ الله فِي دَعْوَتِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ الله فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا خَلِيفَةُ الله.

ولا يشترط في الدلالة على الخير والتحذير من الشر والضير أن تكون عالماً وان كان العلماء هم المخاطبون أولاً بذلك حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧]

وليس بالشرط أن تكون داعياً وخطيباً مفوها بل على كل مسلم أن يكون أمراً بالمعروف دالاً إليه ناهياً عن المنكر ومحذراً منه بقدر استطاعته وعلمه فقد لعن الله بني إسرائيل لما تركوا الدلالة إلى الخير والإرشاد إليه والتحذير من الشر والبعد عنه حيث قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨ـ٧٩]

والدين النصيحة والتعليم والتوجيه للخير بهذا أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولهذا شرع طلب العلم ورغب فيه، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم .

والناس إن لم يجدوا من يدلهم إلى الخير وجدوا من يرشدهم إلى الشر والضير ولابد لان الحياة الدنيا لا تخلوا من نقيضين فاذا لم يزدد إيمانك قل واذا لم يزدد علمك قل واذا لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حصل العكس وتسلط الشيطان على الإنسان فلذلك لابد أن يجاهد الإنسان نفسه في الدلالة على الخير والإرشاد اليه والتحذير من الشر والبعد عنه هذا امرٌ لو سلكناه استقامت لنا حياتنا الدنيا والأخرى لأن الله عز وجل يجازي العبد على قدر عمله في هذه الدنيا

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر مع أنهم أمام فتح وعدو صائل ومع ذلك لم ينسى أمر علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بالدلالة والإرشاد إلى الخير، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله

ﷺ: « ثُمَّ ادْعُهُم إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم فوالله لَإِنْ يَهدي الله بكَ رجلًا واحدًا خيرٌ لكَ مِن حُمْرِ النَّعَم» متفق عليه .

أي أن الدعوة خيرٌ لك من حطام الدنيا الفاني البال، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم قائد السرية والجيش أن تكون دعوته للناس ابتداءً إلى الخير فعن بريدة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «... وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ» أخرجه مسلم .

فالمراد أن يكون الإنسان دالاً على الخير مرشداً إليه ومحذراً من الشر مبتعداً عنه لا سيما في آخر الزمان حيث تغيرت الفطر وانتشر الشر.

فعن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قبل الساعة سِنِينَ خَدَّاعَةً يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» أخرجه أحمد .

فإذا لم توجد الدلالة على الخير مع هذا الشر العظيم ومع تنكس الفطر وتغير المبادئ والقيم كيف سيكون الحال أسوء حال، حيث يتسلط المبطلون، وينتشر الشر .

وستجد من يدعو إلى الديمقراطية ولا نكير وآخر يدعو إلى التشبه بالكفار ولا نكير وثالث يدعو إلى البدعة ولا نكير ورابع يدعو إلى الزنا والفجور ولا نكير وخامس يدعو إلى الربا والزور ولا نكير اذاً يحصل الشر في البلاد والعباد فلابد من وجود من يدعو إلى الله عز وجل .

ولذلك قدر الله قدراً كونياً انه لا تزال طائفة على الحق من هذه الأمة يدعون إلى الخير ويرشدون إليه ويحذرون من الشر ولابد، فعن معاوية رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» أخرجه مسلم .

فاذا انتهت هذه الطائفة انتهت الدنيا، فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ " أخرجه مسلم .

ويرسل الله في آخر الزمن بريح تقبض أرواح المؤمنين، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ " أخرجه مسلم .

فإذا قبض الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ قبض الذين يدلون على الخير ويرشدون إليه عند ذلك يبقى في الأرض من لا يقولون الله الله بل يعبدون اللات و العزى وغير ذلك من الأصنام فعليهم تقوم الساعة إذ أن الساعة تقوم على شرار الخلق، فعن النواس بن سمعان ﵁ قال النبي ﷺ: «... فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " أخرجه مسلم .

وإياك أن يمنعك من نصح الناس ودلالتهم إلى الخير أو تحذيرهم من الشر هيبتهم، فعن أبي سعيد ﵁ قال النبي ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ

النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ» قال أبو سعيد: وددت أني لم أسمعه» أخرجه أحمد .

وقد حذرنا الله عز وجل من التخوف من الشيطان وأوليائه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

فالإنسان معاقب إن لم يتداركه الله برحمة، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَكُونَ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكِرَ الْمُنْكَرَ إِذْ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: فَمَنْ لَقَّنَهُ اللهُ حُجَّتَهُ قَالَ: رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَخِفْتُ النَّاسَ" أخرجه أحمد (١١٢١٤).

ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الدالين إلى الخير المرشدين إليه وان يوفقنا لطاعته ومرضاته .

والحمد لله رب العالمين .

المجلس التاسع عشر: حسن الظن بالمسلمين والنهي عن التجسس عليهم[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن أمرين جليلين الأول حسن الظن بالمؤمنين والثاني النهي عن التجسس على المسلمين.

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات:١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا» متفق عليه، واللفظ لمسلم .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ

---

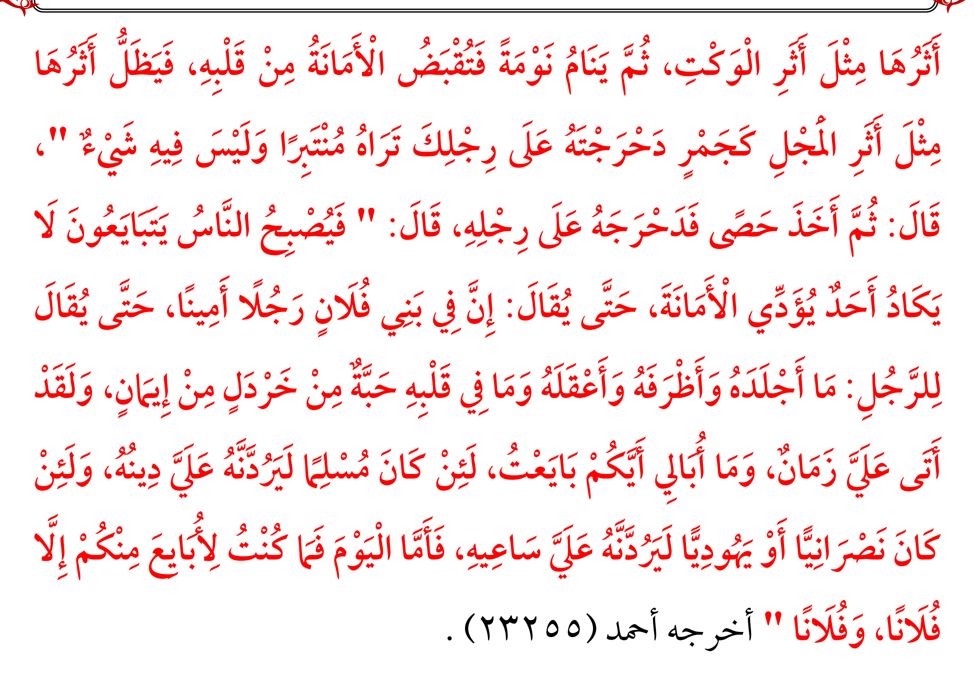
[1] كان هذا المجلس في يوم الثالث والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٤١هـ

الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ الله يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ» أخرجه البخاري .

هذه الأدلة وما في بابها تدل على أهمية حسن الظن بالمسلم وانه يعامل بما ظهر منه فإن كان ظاهره الخير يحمل عليه في بيعه وشرائه ونكاحه وجميع ما يتعلق به فالأصل في المسلم المستقيم على شرع الله والمبادر إلى مرضاته الخير ولذلك جاز أن تأكل من ذبائح المسلمين علمت انهم سموا أو لم تعلم أما إذا علمت أنهم لم يسموا لا يجوز وهكذا الأصل في عقودهم الإباحة والحل.

فعن عائشةَ – أنهم قالوا: يا رسولَ الله، إن قوماً حديثُو عهدٍ بالجاهلية يأتُون بلُحْمَانٍ لا نَدري أذكَروا اسمَ اللهِ عليها أم لم يذكروا، أفنأكُلُ منها؟ فقال رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم -: **"سَمُّوا وكلُوا"** أخرجه البخاري.

و عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: **" أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ "، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ: " يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ**



أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ نَوْمَةً فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمُجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ تَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ "، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ، قَالَ: " فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ وَأَظْرَفَهُ وَأَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا، وَفُلَانًا " أخرجه أحمد (٢٣٢٥٥) .

وينبغي للمسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم ويحمله على السلامة إلا اذا ظهر منه خلاف السلامة فعند ذلك يعامله بما ظهر منه من أسباب الذل والمهانة .

لأن الناس اذا فشى بينهم سوء الظن ساءت أحوالهم وانقطعت أمالهم واشتد بلاؤهم اذا أساء الظن الزوج بزوجته ساءت العشرة واذا أساء الظن الولد بابنه ساءت المعاملة واذا أساء الظن الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم حصل الفساد العريض، فعن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، يَقولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ مَنْ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ

تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ " قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: " لَا مَا أَقَامُوا لَكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا وَمَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِ أَمِيرٌ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيُنْكِرْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ " أخرجه مسلم .

فعلينا جميعاً أن نجاهد أنفسنا في العمل بالظاهر، ونعامل كل إنسان بما ظهر منه والقلوب إلى الله .

فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ» أخرجه مسلم.

فالأمر جلل أن يكون الإنسان أمامك على حال وأنت تحمله على غير ذلك الحال، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤] قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ،

فَأَنْزَلَ الله فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء: ٩٤] تِلْكَ الغُنَيْمَةُ " قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلاَمَ» أخرجه البخاري (٤٥٩١) .

ومن كان في قلبه مرض فضحه الله فلا تستعجله قال الله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ الله أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَالله يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ [محمد]

وقد جاء في الأثر: « مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبداها اللهٌ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ»

فما عليك إلا أن تحسن معاملتك إلى الناس وأما إساءة الناس فهي مردودة عليهم وكما قيل في المثل السائد عامل المحسن بإحسانه وأما المسيء فستكفيكه إساءته

ويدل على هذا المعنى حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم -: "مَنِ استعاذَ بالله فأعيذُوه، ومَنْ سألَ بالله فأعطُوه، ومَن دعاكم فأجيبُوه، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ" أخرجه أبو داود (١٦٧٢).

فإحسان الظن بالمسلمين والمعاملة معهم المعاملة الشرعية من المتعينات ومن الأمور المهمات التي تتآلف بها القلوب وتنشرح بها الصدور وتترابط بها المجتمعات وتزداد بها الأخوة ويزداد بها الإيمان ويحصل البذل والإحسان .

أما إذا كان الأمر خلاف ذلك فما هو إلا التنافر و التباغض والتقاطع والتدابر والتهاجر وهذا كله من أسباب مفسدات الأخوة، وقد تقدم بيان ذلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والأمر المحظور التجسس على المسلمين، إذ أن التجسس إنما ينتج عن إساءة الظن و الله يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وفي قراءة: «ولا تحسسوا».

وتقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: « ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا »

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا مَعشَرَ من أسلمَ بلِسانِه ، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبِه ! لا تُؤذُوا المسلِمينَ ، ولا تَتَّبِعوا عوراتِهم ؛ فإنَّه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أخِيهِ المسلمِ ؛ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرتَه ، ومَن تَتَبَّعَ اللهُ عورتَه ؛ يَفضحْه ، ولو في جَوفِ رحلِهِ» أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنه .

فلا تؤذي المسلم بالبحث عن عوراته ومثالبه ما لم تظهر قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين قيل له هذا رجل يشرب خمر قال: « إنا قد نُهينَا

عنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إنْ يظهَرْ لَنَا شَيءٌ، نَأخُذْ بِهِ» أخرجه أبو داود (٦٢٩٠).

فما دام الستر مرخياً على أهله فلا تتبع ولا تنقب ولا تبحث إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر الإنسان بستر نفسه وأمر الناس بستر غيرهم

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: « كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ الله عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عنْه» متفق عليه .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي ﷺ: « مَن ستَرَ مُسلِمًا، ستَرَهُ اللهُ » .

وعن معاوية رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « إنَّكَ إنِ تتَبَّعتَ عوراتِ النَّاسِ أفسدتَهُم أو كدتَ تُفْسِدُهم » قال الراوي كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) .

والتجسس على المسلمين ممنوع، سواءً كانت التجسس فيما بين الناس أنفسهم أو كان من الدولة على رعاياها إلا ما كان من أهل الريب؛ وأهل الباطل الذين قد علم فيهم الشر والعمل به ويخشى منهم الفساد، فلا بأس أن تتتبع عوراتهم فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان ليلة الخندق ليأتيه بخبر قريش في أحاديثٍ نحو هذا.

لكن إن حمل الناس على السلامة فإياك والتجسس عليهم والتنقيب عما في قلوب الناس لأن ما في القلب اذا بقي في القلب أهون من أن يخرج ربما يكون بينك وبين احدهم خلاف ويسلم عليك ويظهر لك الود والبشاشة ونحو ذلك فاذا أردت أن تتعمق أنت تحبني أو لا تحبني أسألك بالله قل الذي في نفسك ربما ظهر الذي في نفسه فاذا هو خلاف ما تريد فتقع العداوة والبغضاء والشحناء والتقاطع والتدابر ويفرح الشيطان بسبب هذه الأعمال التي تؤدي إلى إفساد الأخوة بين المسلمين ويغضب الرحمن سبحانه وتعالى حين يخالف أمره ويرتكب نهيه ويؤدي إلى تمزيق الأخوة الإيمانية فإن الله عز وجل يرضى لنا أن نعبده ولا نشرك به شيئا وان نعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ " أخرجه مسلم (١٧١٥) .

فالحفاظ الحفاظ على الأخوة والحفاظ الحفاظ على الألفة والحفاظ الحفاظ على جميع ما يكون سبباً لنصرة دين الإسلام وحفظ عرض المسلم في الدنيا والآخرة.

نقول هذا لأنه قد فشى في الزمن المتأخر تتبع عورات المسلمين سواءً في وسائل التواصل الاجتماعي أو في غيرها ؛ سواءً من الحكام أو من المحكومين فحصل الضرر العظيم، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:١٩].

فالفاحشة قد تكون موجودة ؛ لكن وجودها مع الستر أهون بكثير من وجوده مع ظهوره فإن الذي يعصي الله عز وجل وهو يتخفى بمعصيته أهون من المجاهر بمعصيته لأن المجاهر بمعصيته يدعو الناس إلى ارتكاب ما يقع فيه

والمجاهر بمعصيته محاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والمجاهر بمعصيته قل أن يتوب أو يعود بينما العاصي الذي في نفسه يراقب الناس أن يروه في المنكر فيبتعد وينزجر وربما كان ذلك من أسباب توبته وإنابته إلى الله عز وجل.

فلنلتزم الأحكام الشرعية في جميع الأمور من العقائد والعبادات والمعاملات، والله المستعان، أسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية .

والحمد لله رب العالمين .

المجلس العشرون ملازمة مجالس الذكر والبعد عن مجالس الزور [1]

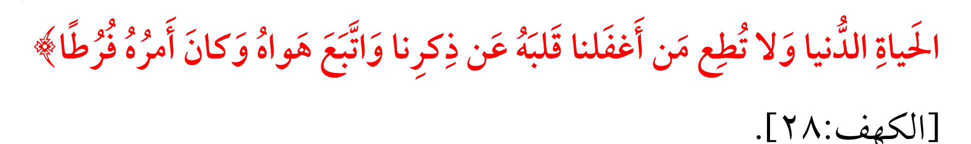
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

نتذاكر في هذا المجلس حال مجلسين مجلس خير ومجلس شر مجلس هدى ومجلس ضلال ألا وهما: الجلوس لذكر الله ومع من يُذَكِّر بالله والجلوس للزور ومع أهله .

فهذان مجلسان أحدهما يرفع العبد إلى أعالي الدرجات والآخر يضع العبد وربما انزله الدركات والنبي صلى الله عليه وسلم مأمورٌ من ربه كما هو أمرٌ لنا بمجالسة أهل الصلاح قال الله عز وجل: ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ وَجهَهُ وَلا تَعدُ عَيناكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ

[1] كان هذا المجلس في الرابع والعشرين من رمضان لعام ١٤٤١ هـ



الحَياةِ الدُّنيا وَلا تُطِع مَن أَغفَلنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

وفي المقابل حذر الله من مجالسة أهل الشر والريب والبدع والضلالات فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذا رَأَيتَ الَّذينَ يَخوضونَ في آياتِنا فَأَعرِض عَنهُم حَتّى يَخوضوا في حَديثٍ غَيرِهِ وَإِمّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيطانُ فَلا تَقعُد بَعدَ الذِّكرى مَعَ القَومِ الظّالِمينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد أمر الله عز وجل بشهود الخير وحذر من شهود الزور فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان]

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ . كَحَامِلِ المِسْكِ ، وَنَافِخِ الكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه .

«ومن جالس جانس» فاجعل مجالسك مع أهل الخير التي تزداد بها إيماناً ورفعةً وفي المأثور عن معاذ انه قال: « اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً» علقه البخاري .

كانوا يحبون مجالس الصلاح ومجالس ذكر الله عز وجل ويبغضون مجالس الزور فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي

الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ اللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ» أخرجه مسلم (٢٧٠١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جلس مجلساً لم يذكر الله ولم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قام عَنْ مِثلِ جيفَةِ حِمَارٍ وفي رواية إلاَّ كانَ عَلَيّهمْ ترةٌ وحَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه أبو داود (٢٨٥٥).

فليكن جلوسك على الوجه الذي ترفع به عند الله فإن الله يباهي الملائكة بمن يجلس لطاعته لاسيما اذا كان جلوسهم مع الذكر والدعاء والرجاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الله مَلائِكَةً سَيَّارةً فُضَّلاءَ يتَتَبَّعُونَ مجالِس الذِّكرِ ، فَإِذا وجدُوا مجلِساً فِيهِ ذِكْرٌ ، قَعدُوا معهُم ، وحفَّ

بعْضُهُم بعْضاً بِأَجْنِحَتِهِم حتَّى يَمْلأُوا ما بيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا ، فَإِذا تَفَرَّقُوا عَرجُوا وصعِدوا إِلى السَّماءِ ، فَيسْأَلُهُمُ الله عَزَّ وجلَّ وهُوَ أَعْلَمُ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُون: جِئْنَا مِنْ عِندِ عِبادٍ لَكَ في الأَرْضِ : يُسبحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ . قال : وماذا يسْأَلُوني ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جنَّتَكَ . قال : وهَلْ رَأَوْا جنَّتِي ؟ قالُوا : لا ، أَيْ ربِّ : قال : فكَيْفَ لو رأَوْا جنَّتِي ؟ قالُوا : ويسْتَجِيرُونَكَ قال : ومِمَّ يسْتَجِيرُوني ؟ قالوا : منْ نَارِكَ ياربِّ . قال : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قالوا : لا ، قال : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟، قالُوا : ويسْتَغْفِرونَكَ ، فيقول : قَدْ غفَرْتُ لَهُمْ ، وأَعطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا ، وأَجرْتهم مِمَّا اسْتَجارُوا . قال : فَيقُولونَ : ربِّ فيهمْ فُلانٌ عبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّما مَرَّ ، فَجلَس معهُمْ ، فيقول : ولهُ غفَرْتُ ، هُمْ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » أخرجه مسلم (٢٦٨٩) .

فانظر يا عبد الله إلى عظيم فضل الله على المتجالسين في الله ؛ وعن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: «وَجَبَتْ مَحبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، والْمُتَجالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» أخرجه مالك في الموطأ .

ومفهوم الحديث أن الله يبغض من كان جلوسه على المعصية والبعد عن الطاعة والزور.

فكلما ازداد الإنسان من مجالسة الخيرين ازداد خيره وكلما ازداد من مجالسة السيئين زاد سوءه .

وكان المتقدمون يعرفون الرجل بجليسه، وقد أحسن من قال:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينَهُ ** فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

وقال بعض السلف: «من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته».

فإذا كنا قد أمرنا بمجالس الخير فعلينا بالبعد عن مجالس الشر والفساد والمكر والكيد والغيبة والنميمة والكذب والبهت ومجالس النظر إلى الحرام من التلافز والدشوش والمقاطع الفاتنة وسماع الأغاني وكثير من الزور الذي انتشر في البلدان وعم وطم بين المسلمين نسأل الله السلامة والعافية.

فاجعل مجلسك مجلس خير يقربك إلى الله اجعل مجلسك على وفق هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ احضر المحاضرات واسمع الدروس ولازم المساجد اجلس مع الصالحين الذين اذا غفلت ذكروك وإذا جهلت علموك وإذا نسيت نبهوك واذا أخطأت قوموك.

وإياك ومجالسة من تزداد بمجالسته غفلة وبعداً عن الله عز وجل وعن كتابه وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مع حرصه على الخير لا يجلس مجلساً ولا يقرأ قرآناً ولا يصلي صلاة إلا ذكر الله فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ



يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا» {إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قيل له في ذلك قال إن كان مجلس خير كان طابعاً عليه وان كان غير ذلك كان كفارة له.

فأسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته .

والحمد لله رب العالمين.



المجلس الواحد والعشرون: حسن الخلق وسوء الخلق[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

نتكلم عن خلقين جليلين أحدهما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه به واستعاذ من الآخر ففي حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في قيام الليل ومن جملته: «اللهمَّ اهْدِني لأَحسَنِ الأخلاقِ لا يَهْدي لأَحسَنِها إلَّا أنتَ، واصرِفْ عنِّي سيِّئَها لا يَصرِفُ عنِّي سيِّئَها إلَّا أنتَ» أخرجه مسلم .

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" أخرجه أحمد، وكان ﷺ أكمل الناس، خلقاً إذ أن خلقه القرآن.

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]، وعن عَائِشَةُ أنها سئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " .

[1] كان هذا المجلس في الخامس والعشرين من رمضان لعام ١٤٤١ هـ

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ مِن خِيارِكُم أَحْسَنَكُم أَخْلاقاً » أخرجه البخاري (٣٥٥٩) .

وعن أبي الدرداء قال قال صلى الله عليه وسلم: « ما من شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة من حُسْنِ الخُلُقِ » أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» أخرجه أبو داود (٢٧٩٨) .

وعن جابر رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: المُتَكَبِّرُونَ» أخرجه الترمذي (٢٠١٨) .

وعن أبي امامة قال قال صلى الله عليه وسلم: " أنا زعِيم بِبيتِ في رَبَضِ الجنةِ، لمن تركَ المِراء وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسَطِ الجنةِ لمن ترك الكذِبَ وإن كانَ مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمن حسَّنَ خُلُقَه" أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: « أَكْمَلُ الْمُؤْمنين إِيمَاناً أَحْسنُهُمْ خُلُقاً وَخِيارُكُمْ خيارُكم لِنِسَائِهِم » أخرجه أبو داود (٢٦٨٢).

والآيات والاحاديث في هذه الفضيلة كثيرة إذ أن قيمة الإنسان بخلقه ؛ بما يتخلق به إن كانت أخلاقه حسنة وحميدة مثل الكرم والجود والشجاعة وصدق الحديث وحسن المعاملة وقبل ذلك عبادة الله عز وجل ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هو الممدوح والمحبوب والموعود بخيري الدنيا والآخرة .

وإن كان غير ذلك فالبعد عن مجالسه متعينة لسوء حاله في الدنيا والآخرة .

فصاحب الأخلاق الحسنة محبوبٌ عند الناس ؛ ومرغوبٌ في القرب منه؛ ومثنيٌّ عليه من عباد الله .

وصاحب الأخلاق السيئة مبغوضٌ عند الله؛ ومبغوضٌ عند الناس مرفوضٌ في المجتمع، ويذكر بالذم غالباً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله وسلم: «الْمُؤْمِنِ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ» أخرجه الترمذي (٢٦٢٧) .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ» أخرجه أحمد (٨٨١٢) .

فصاحب الأخلاق الحسنة يرجى خيره ويؤمن شره وصاحب الأخلاق السيئة لا يرجى خيره ولا يؤمن شره فعلى الإنسان أن يتخلق بخلق القرآن وبخلق النبي عليه الصلاة والسلام وبخلق الأئمة الأعلام الذين حرصوا على طاعة الملك العلام .

وإياه والتشبه بأخلاق المتشبهين بالشيطان فإن هذا من المذمة بمكان والله عز وجل يحب الأخلاق الحسنة وأهلها ولهذا امر بها ورغب فيها وحظ عليها.

والقاعدة عند أهل السنة أن ما امر الله عز وجل به فهو محبوب عنده وهو المسمى بالإرادة الشرعية وما نهى الله عز وجل عنه فهو مبغوض عنده فينبغي للمسلم أن يلازم محاب الله عز وجل.

ثم إن من أعظم الخلق ما يكون مع الله الذي خلقك ورزقك وأعطاك وأمدك، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار]

ولهذا كان أكمل الخلق معه سبحانه وتعالى «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه، وقال الله عز وجل: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٩﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢٢٠﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢١﴾ [الشعراء]

فعلى الإنسان أن يحقق التوحيد والاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم إن رغب أن يكون حسن الأخلاق مهدياً اليها ملازماً لها مرفوعاً بها في الدارين .

انظر إن صاحب الخلق الحسن ليبلغ درجة الصائم القائم سبحان الله رجلٌ يصوم بالنهار ويقوم بالليل اذهب جسمه بالجوع والعطش تقرباً إلى الله عز وجل وآخر اذهب جسمه قيام الليل تقرباً إلى الله عز وجل وهذا بحسن خلقه يبلغ درجة الصائم القائم أي فضيلةٍ هذه إنها فضيلة العمل بالقرآن والسنة.

والنوع الثاني من حسن الخلق هو ما يكون بين الناس وقد عرفها ابن المبارك وتتابع عليه العلماء بأنه «كف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه» أخرجه الترمذي .

فـ (كف الأذى) بحيث لا تؤذي أحداً من المسلمين

و(بذل الندى) بحيث تكون يدك منطلقة بالبذل والعطاء إما صدقة وإما زكاة وإما هبة أو غير ذلك من الصدقات المعنوية كالإصلاح بين الناس والدعوة إلى مكارم الأخلاق

و(طلاقة الوجه)، وهو انبساطه للمسلمين، فعن جابر بن سليم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَلا تَحقِرنَّ مِنَ المعروفِ شَيْئاً ، وأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاك وأَنتَ مُنْبسِطٌ إِليهِ وجهُكَ ، إِنَّ ذلك مِنَ المعرُوفِ» أخرجه أحمد .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ » أخربجه الترمذي (١٩٥٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم له المثل العظيم في هذا الباب قال جرير رضي الله عنه «ما رآني النبي صلى الله عليه وسلم إِلاَّ تَبَسَّمَ» متفق عليه .

فكفى بالخلق الحسن انه صفة الأنبياء والمرسلين والصالحين والمؤمنين وربما ادعاه من ليس من أهله وكفى بالخلق السيء انه مبغوضٌ عند الله وعند أنبيائه ورسله وعند الصالحين من عباد الله وإنما هو خلق الشيطان وأعوان الشيطان والمتأسين بالشيطان من الكفار والمنافقين وعصاة المسلمين.

وقد أحسن من قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يعني أن الأمة بخلقها بعفتها بغيرتها بكرمها بشجاعتها ببسالتها في أوجه الخير فاذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا كما يعبر البعض إلى مزبلة التاريخ ولذلك لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قوماً يلعبون قال: «لَا مِنْ الله اسْتَحْيَوْا وَلَا مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوا » أخرجه أحمد عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه .

وكان من أسباب عذاب القبر عدم الاستتار من البول، وفي بعض معانيه أنه الذي يبول أمام الناس بدون حياء، بدون خجل، ربما نظروا إلى عورته، وهذا لسوء خلقه فيجازى بهذا العذاب فينبغي للإنسان أن يكون حسن الأخلاق مع القريب والبعيد بل مع العدو قبل الصديق لان طبيعة الإنسان أن يتنكر لعدوه لكن إذا لازم الخلق الحسن فعند ذلك الخير العظيم كما اخبر الله عز وجل بقوله: ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت] أي صار بسبب الإحسان إليه، كأنه صاحبٌ قريب لكن هذه الصفة من يناها

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ " إذ أن الأخلاق السيئة من نزغات الشيطان"

فالله الله في التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله يقول عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]

وليست الأسوة في الصلاة فقط نعم قال «صَلُّوا كما رأيتُموني أُصلِّي»، أخرجه البخاري عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

وليست الأسوة في الحج فقط نعم قال « خُذُوا عَنِّي مناسككم » أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه، وليست الأسوة في الصيام فقط والزكاة بل الأسوة في جميع شأنه مما هو من الأمور العامة إلا ما كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم.

ونحن في أيام فضيلات و أوقاتٍ جليلات فلا احسن من هذا الدعاء أن تأتي به في افتتاح صلاتك أو تأتي به في سجودك وركوعك أو في دبر صلاتك وفي أوقات الإجابة « اللهمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ »

ولا عبرة بأخلاقٍ ظاهرها الحسن وصاحبها قد ضيع توحيد رب العالمين كما تسمعون من بعضهم حيث يثني على الكفار من اليهود والنصارى وانهم وانهم وانهم هؤلاء لا خلق لهم في أخلاقهم ولا في غيرها لأنهم ضيعوا

الحق العظيم ضيعوا حق رب العالمين وهو التخلق بالتوحيد والإخلاص والطاعة والتوبة والإنابة والاستغفار.

فامتثلوا قول الله عز وجل: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]

أحسنوا في أقوالكم وأفعالكم كما يجب عليكم أن تحسنوا في عقائدكم فهذا هو مجموع الإيمان:

اعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، وقول باللسان وعمل القلب إياك وظن السوء ؛ إياك و الحسد ؛ إياك والحقد ؛ إياك والبغضاء للمؤمنين ؛ وغير ذلك من الأخلاق القلبية السيئة.

وفي الجوارح إياك والزنا والسرقة والقتل والضرب والغصب وغير ذلك من الأخلاق السيئة.

اذاً نحن بحاجة إلى إقامة الخلق الحسن في جميع شأننا وأن نكون كما أراد الله سبحانه وتعالى وكما سن رسول الله صلى الله عليه هذا تعمر البلدان وتصان الأديان

وأسأل الله عز وجل لي ولكم العون والسداد، والرحمة والمغفرة، إذا وقفنا بين يدي الملك الديان سبحانه وتعالى

والحمد لله رب العالمين .

المجلس الثاني والعشرون: الصبر والعجز والتسخط [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه ومجتباه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد:

نتكلم عن خلقين عظيمين احدهما يتصف به خلص المؤمنين والآخر دليلٌ على ضعف الإيمان بالقدر ويلحق صاحبه من الخور والضرر بقدر ما عنده ألا وهما الصبر و العجــز و التسخط.

أما الصبر فهو وصية الله لعبادة، وقد اتصف الله عز وجل به، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «ولا احد أصبر على أذى يسمعه من الله يرزقهم ويعافيهم ثم يجعلون له الصاحبة والولد» متفق عليه .

وقد أمر الله بالصبر في بدء الدعوة مع كثرة المخالفة والأذى والتكذيب قال الله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [المزمل:١٠] ؛ ﴿ وَاصبِر وَما صَبرُكَ إِلّا بِالله ﴾ [النحل:١٢٧] ؛ ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور:٤٨].

وأخبر الله عز وجل بعظيم أجر الصبر فقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠]

[1] كان هذا المجلس في السادس والعشرين من رمضان ١٤٤١هـ

فأجرٌ عظيم للصابرين على طاعة الله عز وجل ؛ للصابرين عن نواهي الله عز وجل للصابرين على أقدار الله عز وجل لان الصبر عند العلماء ينقسم إلى:

١- صبرٌ على طاعة الله.

٢- وصبرٌ عن معصية الله

٣- وصبرٌ على أقدار الله

وقد قال الله عز وجل حاثاً على الصبر والمصابرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]

فمن أوسع أبواب الفلاح الصبر، فلا فلاح للمرء في الدارين إلا بملازمة الصبر.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» أخرجه مسلم (١٠٥٣).

سبحان الله ما أعظم أعطياته للعباد وما أكثر ما ينعم ومع ذلك ما أعطي أحد مثل الصبر لأن الصبر دليلٌ على الكرم والشجاعة ورباطة الجأش والإيمان بالقدر وغير ذلك.

فطلبك للعلم يحتاج إلى صبر ولابد وإلا أتتك السآمة وعملك بالعلم يحتاج إلى صبر ولابد والا لحقتك السآمة ودعوتك إلى العلم يحتاج إلى صبر والا لحقك الفتور لا سيما اذا كان المدعوون من المخالفين الذين تقل استجابتهم ولهذا قال الله عز وجل: «وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾.

فالصبر عون بعد عون الله عز وجل للفتى قال الله عز وجل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥]

وهذا موسى عليه السلام حين اشتد الأمر على بني إسرائيل أوصاهم بالصبر حيث قال الله عز وجل: ﴿قالَ موسى لِقَومِهِ استَعينوا بِالله وَاصبِروا إِنَّ الأَرضَ الله يورِثُها مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَالعاقِبَةُ لِلمُتَّقينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨].

فالأمر إلى الله عز وجل في جلب المنافع ودفع الضار، وتيسير الأمور، فما عليك إلا أن تتصبر فعن أنس رضي الله عنه قال: «مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأةٍ تبكي على صبيٍ لها قال لها : اتَّقِي الله، واصْبِرِي، قالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبَتِي، ولَمْ تَعْرِفْهُ، فقِيلَ لَهَا: إنَّه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه

وسلَّمَ، فأَتَتْ بَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقالَ: إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» متفق عليه .

فعلى المسلم أن يحقق هذه الشعيرة العظيمة في جميع شأنه فالنصر مع الصبر والفرج يأتي بعد الصبر فعن صهيب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ إنْ أصابَتْه سرَّاءُ شكَرَ وإنْ أصابَتْه ضرَّاءُ صبَرَ وكان خيرًا له وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ» أخرجه مسلم .

فحياة المؤمن على اكمل الحالات لأنه طائعٌ لله عز وجل في حال رخائه وشدته في حال سرائه وضرائه ؛ في حال غناه وفقره ؛ وقال الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ [العلق]

دلت الآية على أن كثيراً من الناس يقع منهم الطغيان اذا أعطاهم الله عز وجل بل وكثير من الناس اذا أبتلي بالقلة لحقه ذلك.

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر:١٥]

فيقع منه البطر والأشر و الكبر و البغي و العناد و يدعي المكرمات

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [الفجر:١٦]

أي ضيق عليه في الرزق فيقول ﴿ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ والواقع خلاف ذلك قد يكرم الله عز وجل بالرزق الدنيوي من شاء من عباده صالحاً أو طالحا، وقد يمنع الله عز وجل بعض الرزق الدنيوي عن صالحٍ وطالحٍ قال الله عز وجل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ... } [المعارج: ١٩ - ٢٣] . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قوته في حالةٍ حتى قالت عائشة رضي الله عنها : «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وما أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نَارٌ»

فالدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب والدين و العلم والإيمان لا يكون إلا لمن يحب الله سبحانه وتعالى.

فلابد للإنسان أن يجاهد نفسه في التصبر على أقدار الله فإنه اذا لم يصبر طاعةً لله عز وجل كان سلوه سلو البهائم لان القدر يمضي سواءً صبر أو لم يقع من ذلك قال عبد الله بن الأحوص:

تعز بحسن الصبر عَن كل هالك ... ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطبارا وخشية ... سلوت على الأيام مثل البهائم

وليس يذود النفس عَن شهواتها ... من الناس إلا كل ماضي العزائم اهـ

من روضة العقلاء .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : « ليسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ، أوْ شَقَّ الجُيُوبَ، أوْ دَعا بدَعْوَى الجاهِلِيَّةِ » متفق عليه .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ " وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» أخرجه مسلم (٩٣٤) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ليس مِنَّا مَن حَلَقَ ولا خَرَقَ ولا صَلَقَ » متفق عليه،أي عند المصيبة قال الله عز وجل﴿ وَمَن يُؤْمِن بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن:١١] .

من يؤمن بالله ويصبر على أقدار الله عز وجل يهدي قلبه ويوفقه لكل خير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم «يستعيذ بالله من العجز والكسل والبخل» وغير ذلك من الأخلاق الذميمة التي ربما أدت إلى عدم الصبر على ما يكون للإنسان في هذه الحياة.

فعليك أن تكون مستعيناً بالله ؛ صابراً على أوامره ؛ مسارعاً في أدائها مبتعداً عن نواهيه وحذراً منها صابراً على أقداره إن بليت بموت الولد فقد ماتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ورقية وأم كلثوم وإبراهيم و

القاسم والطاهر وماتت زوجته خديجة وقتل عمه حمزة وكم لحقه من المصائب في هذا الباب ؛ قتل من أصحابه في يوم أحد سبعون صحابياً.

وإن كنت قد ابتليت بالفقر فقد أفتقر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لربما أكلوا أوراق الشجر ونقبت أقدامهم بسبب عدم وجود النعال ونحو ذلك.

وإن أصبت بالبعد و الغربة فقد هُجِّرَ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وهي أحب البقاع اليهم .

وإن أصبت بجراحاتٍ فقد أصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي بجراحاتٍ في وجهه وهشمت البيضة على رأسه وجرح وجهه حتى كسرت ثناياه فلك أسوة وقدوة به ﷺ وأعظم ذلك من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أعظم مصيبة حيث مات خيرة وصفوة خلق الله.

واصبر أيضاً على المرض ففيه كفارات وفيه رفع درجات وقد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يمرض الرجلان فعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ:

فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ» أخرجه مسلم.

وهذا بابٌ عظيم على الإنسان أن يسلك فيه الوجه الشرعي في التصبر و الصبر و المصابرة فيحتاج الإنسان أن يكون مجاهداً لنفسه على الصبر لأن من طبيعته الانتقام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]

وأخذ بها عمر رضي الله عنه فعن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»



وفي الحديث: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ الله عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ » أخرجه الترمذي (٢٤٩٣) والحديث فيه كلام لكنه في الباب .

فاصبروا في هذه الحياة الدنيا فإنها تزول قريباً وصابروا على ما انتم فيه فلابد من بذل الجهد والاستعانة بالله والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي بمكارم الأخلاق فإنها ملاك الصبر والتصبر واتقوا الله في جميع شأنكم تسعدوا بجزاء ربكم سبحانه وتعالى لكم في الدارين.

وقد أحسن من قال:

الصبر مثل اسمه مرٌ مذاقه ❊❊ لكن عواقبه أحلى من العسلِ

وقال ابن زنجي البغدادي:

غاية الصبر لذيذ طعمها ... وبدي الصبر منه كالصبر

إن في الصبر لفضلا بينا ... فاحمل النفس عَلَيْهِ تصطبر اهـ من روضة العقلاء .

أسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وان يوفقنا لكل خير.

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث والعشرون: إصلاح ذات البين وفساده[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

نتكلم في هذا المجلس عن أمرين بأحدهما يقوم المجتمع المسلم ويقوى وينتصر وبالآخر فساد المجتمع المسلم ويلحقه الضعف والخور، والله المستعان .

[1] كان هذا المجلس في السابع العشرين من رمضان لعام ١٤٤١هـ

أولاهما إصلاح ذات بين المسلمين والثاني فساد ذات بين المسلمين .

وهذا الأمر من أهم المهمات حيث قام المجتمع المسلم على الأخوة والتحاب والصفاء والنقاء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ووقع إصلاح ذات البين بين الأوس والخزرج، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣]

وقد أخر النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر حين وقع ما وقع وخرج للإصلاح بين بني عمرو بن عوف.

وعن أم كلثوم - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ- أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا» أخرجه مسلم (٢٦٠٥).

قال الله عز وجل:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤]

وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:١٢٨] فعلى أي حال مادام الصلح يؤدي إلى الإصلاح فهو خير وإن تنازلت عن بعض حقك مقابل تآلف القلوب واجتماع الأواصر وترابط الأخوة فهو خير .

حتى أن الله عز وجل قد أمر بالإصلاح بين الرجل وزوجه: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: ٣٥]، وقال: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ [النساء:١٣٠]

فلا مجال في ديننا للتنافر أو التقاطع أو التهاجر أو التدابر و لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم محذراً من مفسدات ذات البين: « إيَّاكُمْ والظَّنَّ ، فإن الظَّنَّ أكذبُ الحدِيثَ ، ولا تحَسَّسُوا ، ولا تجَسَّسُوا ولا تنافَسُوا ولا تحَاسَدُوا ، ولا تَباغَضُوا، ولا تدابَرُوا ، وكُونُوا عِباد الله إخْواناً

وفي رواية «لا تَهَاجَرُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ الله إخْوانًا. »

وفي رواية «إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَباغَضُوا، وكُونُوا إخْوانًا، ولا يَخْطُبُ الرَّجُلُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ حتَّى يَنْكِحَ أوْ يَتْرُكَ» متفق عليه، وهذا لفظ مسلم .

فهذه أمور نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كلها تؤدي إلى فساد ذات البين بل إن الله عز وجل يؤخر رفع أعمال من كان بينهم خصومه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: " تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا " أخرجه مسلم .

فلا بد للإنسان أن يصفي قلبه على أخيه المسلم ولابد للناس أن يسعوا في تصفية ما بين المسلمين من أسباب البعد والتنافر والشحناء والبغضاء والحسد والبغي فهذا امرٌ مهم لان فساد ذات البين الحالقة؛ فالغيبة بسبب فساد ذات البين ؛ والنميمة خطرها عظيم لأنها تؤدي إلى فساد ذات البين وكم من الذنوب مرتبطة بهذا الباب، فعن حذيفة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ » ؛ وفي رواية « قَتَّاتٌ » متفق عليه .

والكذب من أسباب فساد ذات البين والحسد من اعظم أسباب فساد ذات البين فهو تمني زوال النعمة عن الغير ولذلك نهى الله عن الحسد وذمه ووصف به اليهود، قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤]

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ [البقرة:١٠٩]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ: «ما حَسَدتكمُ اليَهودُ علَى شيءٍ ، ما حَسَدتْكُم على السَّلامِ والتَّأمينِ » أخرجه أبو داود .

والتنافس في الدنيا من أسباب فساد ذات البين بينما التنافس في الدين من أسباب صلاح ذات البين قال الله عز وجل في شأن الدين: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين:٢٦]

فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا فتحت عليكم فارس والروم؟ قالوا نكون كما كنا يا رسول الله؛ قال: «بل تَتَنافَسُونَ "تنافس من اجل الدنيا" ثُمَّ تَتَحاسَدُونَ ، ثُمَّ تَتَدابَرُونَ، ثُمَّ تَتَباغَضُونَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهاجِرِينَ ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ» أخرجه مسلم .

انظر كيف يتدرج الناس حتى يصلوا إلى فساد ذات البين «تنافس من أجل الدنيا» ثم بعد التنافس يدخل حب الدنيا فيقع الحسد ثم بعد ذلك التقاطع والتنافر لأن القلوب قد شحنت فيتنافرون بأبدانهم وقلوبهم ثم بعد ذلك القتل والقتال ولابد إلا من رحم ربي وما ترون من فساد ذات البين في البلدان والشعوب هو بسبب البعد عن تعاليم ديننا الحنيف ولذلك

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطانَ قدْ أَيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ» أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

فالتحريش تفسد به الأخوة ويُفرح الشيطان ويغضب الرحمن ففي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ» أخرجه مسلم .

فانظر يا وفقك الله كيف يفرح الشيطان بما يؤدي إلى تنافر المؤمنين وإلى فساد ذات بينهم فيا معاشر أهل الإسلام علينا بتقوى الله عز وجل فيما بيننا و لنسعى جاهدين في إصلاح امرنا فإن المجتمع المسلم قوته في تآلفه، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]

وقد أحسن من قال:

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسراً.. واذا افترقن تكسرت آحادا

وأحسن من قال:

أَخَاكَ أَخَاكَ إنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ *** كَسَاعٍ إِلَى الهَيجَا بغَيرِ سِلاَحِ

فأنت بأخيك وأخوك بك والفتن قد تقع لكن دوائها في إصلاح ذات البين وعدم التأخر في ذلك، ويكون إصلاح ذات البين إما بالصفح، قال الله عز وجل: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ [البقرة:١٠٩]

وما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيء إلا امر فيه بالعفو.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما زادَ الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، وما تواضعَ أحدٌ الله إلَّا رفعَهُ الله عزَّ وجلَّ» أخرجه مسلم .

فإذا تم العفو فذاك هو المطلوب الذي يدل على كرم بين المسلمين وحسن عمل يحتاج إلى حسن جزاء وكم من إنسانٍ يسيء اليك فإذا عفوت وصفحت عنه كان ذلك من اعظم أسباب محبته لك ورجوعه إلى مودتك والقرب منك .

وقد أحسن من قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم**فطالما استعبد الإنسان أحسن

فإن لم يتم العفو فليكن الصلح والصلح خير بحيث يقع التنازل من أحد الخصمين أو كليهما والصلح لا تحتاج فيه إلى بينات ؛ ولا أيمان ؛ إن كان الخلاف في مالٍ أو نحو ذلك على النصف أو نحوه، فعن كعب بن مالك أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: «يَا كَعْبُ»، فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، «فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ»، قَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُمْ فَاقْضِهِ» متفق عليه .

فإن لم يكن الصلح فعند ذلك تأتي بالحكم الشرعي بعد الجلوس بين المتخاصمين وسماع الدعاوى والبينات ويكون الشأن في الدعاوى على المدعي البينة و على المنكر اليمين.

فلو سلك الناس هذه المسالك لزال الشر جملةً وتفصيلا لكن الواقع ألَّا عفو تجد المظلوم لا يريد أن يعفو ولا يستشعر محبة الله عز وجل للعفو فإن العفو مرتبة عظيمة ومنزلة رفيعة، قال الله عز وجل: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ [الشورى:٤٠]

ولا الظالم يبحث عن التحلل، والله المستعان .

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]

فالله الله عباد الله في إصلاح ذات بينكم فبها تلقون ربكم ويجازيكم على حسن أعمالكم وهي خلق نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو من اعظم صفات أسلافكم وإياكم وفساد ذات البين فهو خلق الكافرين وسماء المنافقين وفعل الجاهلين.

فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن المنافق: «وإذا خاصَمَ فجَرَ، وإذا عاهَدَ غدَرَ » أخرجه مسلم .

فاحمدوا الله يا معاشر المسلمين يا من جمع الله قلوبكم فإن الأمر له وحده، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِهِم لَو أَنفَقتَ ما فِي الأَرضِ جَميعًا ما أَلَّفتَ بَيْنَ قُلوبِهِم وَلـكِنَّ الله أَلَّفَ بَينَهُم إِنَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٣]

وأعظم أسباب الألفة صلاح العقيدة وتجد أن أهل السنة والجماعة في كل زمنٍ وحين وعلى تباعد البلدان والأوطان على حالٍ واحد في فتاواهم وعقائدهم وأعمالهم في حزنهم وفرحهم وترحهم والحال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى» متفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

ويكون صلاح ذات البين بأمور منها: العودة إلى الكتاب والسنة عقيدةً وسلوكاً وعبادةً

العودة إلى منهج السلف الصالحين الذين آثروا الأخوة على كثيرٍ من حطام الدنيا، وحالهم كما قيل: «المؤمن لأخيه كاليد للأخرى» أي لا تستغني إحداهما عن الأخرى.

ومنها أن يؤدي إلى الناس الذي يحب أن يؤدى اليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن أَحبَّ أَنْ يُزَحْزحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ بالله وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إلَيْهِ » أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

ومنها محبة المسلمين فعن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه .

ومنها البذل والعطاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «تهادَوْا تحابُّوا» أخرجه الإمام مالك (٣٣٦٨) .

ومنها فعل المعروف والإحسان حيث أن الإحسان يولد الإحسان، قال الله عز وجل: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن:٦٠]

ومنها سلامة القلوب فلا يرضى الإنسان لنفسه أن يبقى مع قلبٍ يحمل الغل والحقد والحسد، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه

وسلم لما سئل من أفضل الناس قال: «كلُّ مَخمومِ القلبِ صَدوقُ اللِّسانِ . قالوا : صَدوقُ اللِّسانِ نعرِفُه ، فما مَخمومُ القلبِ ؟ قال : هو التَّقيُّ النَّقيُّ لا إثمَ فيه ولا بَغيَ ، ولا غِلَّ ، ولا حسَدَ» أخرجه ابن ماجه .

أسأل الله عز وجل أن يؤلف بين قلوبنا وان يجمعنا على الهدى وأن يجنبنا سبل الردى .

ومن أعظم ما فرق بين المسلمين الحزبيات ؛ فهي الداء العضال الذي فرق بين المسلمين وجعلهم جماعات متناحرة متهاجره متقاطعة متدابرة والواجب أن نكون في جماعة واحدة لا جماعات وطريق واحد لا عشرات .

قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والحمد لله رب العالمين .

المجلس الرابع والعشرون: العلم والجهل[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

[1] كان هذا المجلس في الثامن والعشرين من رمضان لعام ١٤٤١هـ

كلامنا في هذا المجلس عن خلقين أحدهما في المدح والعلو بمكان والثاني في السفل بمكان ألا وهما:(العلم والجهل)

فالعلم صفة الله سبحانه وتعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [التغابن:١٨]، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافيها، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[غافر:١٩]، وقال تعالى: ﴿والله بكل شيءٍ عليم﴾ وقال الله عز وجل: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩]، وقد بعث الله عز وجل عباده بالعلم ﴿لَكِنِ الله يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِالله شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٦٦]

وأرسل رسله إلى المكلفين بالعلم لإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم فالعلم إذا وجد رفع الجهل لاسيما اذا عمل به وحرص عليه فقد قال الله عز وجل مخبراً وخبره الحق: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر:٩]

أي لو أن رجلاً قد علم دين الله وعمل به ودعا اليه لا يستوي مع جاهلٍ بدين الله معرضاً عنه ؛ زاهداً فيه .

وقد أخبر الله عز وجل أن الخشية في أهل العلم قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨]

وسبب خشيتهم أنهم عرفوا الله ؛ بأسمائه وصفاته فتعبدوا له بما دلت عليه إذ أن الخشية هي الخوف مع التعظيم .

والعلم سبيل الرفعة قال الله عز وجل: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:١١]

وقد قرن الله عز وجل شهادة العلماء بشهادته على أفضل مشهد فقال : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]

فهذا يدل على شرف العلم إذ لم يشهد الله عز وجل على وحدانيته الملوك والأمراء والتجار والشجعان وأصحاب الجمال وإنما اشهد العلماء الذين عرفوا التوحيد ودعوا اليه وعظموه فالعلم سبيل كل صلاح في الدارين، وقد أحسن من قال:

العلم يبني بيوتاً لا أساس لها.. والجهل يهدم بيوت العز والشرفِ

وقال الآخر:

كن عالما وارض بصفّ النعّال ... ولا تكن صدرا بغير الكمال

فإن تصدّرت بلا آلة ... صيرّت ذاك الصّدر صفّ النّعال

وقيل ذلك عن معاوية رضي الله عنه قال النبي عليه وسلم: « مَن يُرِدِ الله بهِ خَيرًا يُفقِّهُّ في الدِّينِ » متفق عليه.

ففي الحديث أن من علامة إرادة الله عز وجل بعبده الخير أن ييسره للعلم وأن يفقهه في دين الله عز وجل حتى يعبد الله سبحانه وتعالى على بصيرة ويتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم على بصيرة وعلم، قال الله عز وجل: ﴿١٠٧﴾ قُل هـذِهِ سَبيلي أَدعو إِلَى الله عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبحانَ الله وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وعن عثمان رضي الله عنه عند البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضَلُكم مَن تَعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَهُ » وفي لفظ « خيرُكم مَن تعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَه» .

وهذا يدل على فضيلة حملة القرآن وأهله ومعلميه .

فالعلم مع العمل كشجرة مثمرة بخلاف العلم بلا عمل فهو كشجرة بلا ثمر وعن أبي موسى رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلَ ما بَعَثَنِيَ الله به عزَّ وجلَّ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرْضًا، فَكانَتْ مِنْها طائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والْعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَ مِنْها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ الله بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْها وسَقَوْا ورَعَوْا، وأَصابَ طائِفَةً مِنْها أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً، ولا تُنْبِتُ كَلَأً،

فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ الله، ونَفَعَهُ بما بَعَثَنِيَ الله به، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه .

فالعالم كالغيث حيث حل نفع وحيث وقع كان به الزرع بإذن الله عز وجل .

فلا يزهد في العلم إلا من جهل قدره ومنزلته ويقولون في شأن العلم:

كفى به شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه .

والعلم ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فإذا تسابق الناس في ميراث آبائهم وأمهاتهم ومن اليهم فسابق على ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: « مَنْ سلَكَ طريقاً يَطلُبُ فيه علماً سَلَكَ الله عزّ وجلّ به طريقاً من طُرُقِ الجنة، وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها رضاً لطالبِ العلم، وإنَّ العالم ليستغفِرُ لهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ والحيتانُ في جوف الماء، وإن فضلَ العالمِ على العابِدِ كفضل القَمَرِ ليلةَ البدرِ على سائر الكواكِبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، ورَّثُوا العِلْمَ، فمن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وافِرٍ » أخرجه أبو داود (٣٦٤١) .

وقال الزهري رحمه الله: "وبانتعاش العلم أنتعاش الدنيا والدين "

فإذا أردت الدنيا من حلها وأردت الدين من جميع جوانبه فاسلك سبيل العلم الشرعي الذي يؤدي إلى محبة الله للعبد والى قرب العبد من الله عز وجل.

وكم ألف العلماء في فضيلة العلم من كتب، وكتبوا من كتابات منها "جامع بيان العلم وفضله" وذكر فيه ذلك الحديث المشهور

عن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ الله له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ » أخرجه مسلم.

فطريق الجنة في العلم وهي الطريق اللاحب الواسع الذي من دخله وسلكه وصل إلى مرضات الله والى جنة الله عز وجل، فعن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، فمَنْ يَعِش مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ" أخرجه ابن ماجه (٤٣).

والمراد بالعلم الذي ندل عليه، ونرشد إليه علم الكتاب والسنة ؛ علم القرآن على فهم السلف الكرام رضوان الله عليهم وهناك علوم دنيوية من تعلمها فيما أباح الله فلا محظور إلا أنه يجب عليه قبل ذلك أن يتعلم التوحيد والصلاة والصيام والحج والزكاة وما وجب عليه فإن العلم بها هو المتعين حتى يتعبد الله عز وجل بها على طريقة رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « صلُّوا كما رأيتُموني أصلِّي » أخرجه البخاري؛ وعن جابر رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: « خذوا عنِّي مناسِكَكم » أخرجه مسلم .

وأسوأ العلم علم السحر والشعوذة والكهانة والعرافة وما يتعلق بعلم النجوم ؛ أي علم تأثير فهذا العلم كفر قال الله عز وجل: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[البقرة:١٠٢]

وهذا دليلٌ صريحٌ واضحٌ على أن تعلم السحر وتعليمه يعتبر من الكفر الأكبر المخرج من الملة فعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه

وسلم:« مَنِ اقتبَسَ شُعبةً مِنَ النُّجُومِ اقتَبَسَ شُعبَةً مِنَ السِّحْرِ زادَ ما زادَ » أخرجه ابن ماجه (٣٧٢٦) .

لأن المنجم يزعم أن التغيرات الفلكية لها تأثيرٌ على الأحوال الأرضية وربما استخدموا حروف أبا جاد في معرفة الكهانة والعرافة وعن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصَدَّقَه بما يقولُ فقد كفرَ بما أنزِلَ على محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » أخرجه البزار كما في كشف الأستار عن جابر وهو عند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه من طريق أبي تميم الهجمي ولم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه .

قال ابن رجب في بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص: ٢):

فإن علم التأثير باطل محرم وفيه ورد الحديث المرفوع "ومن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر" . خرجه أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعا وخرج أيضاً من حديث قبيصة مرفوعاً "العيافة والطِيَرة والطرق من الجبت" والعيافة زجر الطير: والطرق الخط في الأرض.

فعلم تأثير النجوم باطل محرم. والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للإهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه. وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة

الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل.

وقد أنكر الأمام أحمد الاستدلال بالجدي وقال إنما ورد ما بين المشرق والمغرب قبلة: يعني لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم. وقد أنكر ابن مسعود على كعب قوله أن الفلك تدور وأنكر ذلك مالك وغيره وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم أن الزوال يختلف في البلدان. وقد يكون إنكارهم أو إنكار بعضهم لذلك لأن الرسل لم تتكلم في هذا وإن كان أهله يقطعون به وإن كان الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض. اهـ

فعلم الكتاب والسنة هو العلم الممدوح، وقد أحسن من قال:

العلم قال الله قال رسوله *** قال الصحابة ليس خلف فيه.

وفي الأصول الثلاثة للإمام المجدد اعلم رحمك الله انه يجب علينا تعلم اربع مسائل:

الأولى: العلم: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرف الدين الإسلامي بالأدلة.

فإذا وجد العلم في أمةٍ صلحت واذا رفع العلم من الأمة فسدت ولذلك كان خير هذه الأمة الصحابة لأنهم أعلم الناس بمراد الله ومراد

رسوله ﷺ تلقوا العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبادروا إلى العمل به تبليغه فما أمروا بشيءٍ إلا وبادروا إلى تنفيذه وما علموا شيئاً إلا وكانوا من السبَّاقين إلى العمل به ثم تلاهم التابعون الذين أخذوا العلم من الصحابة الكرام واخذوا المعتقد الصحيح ثم تلاهم تابعوهم وهكذا قال رسول الله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه: «تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم» أخرجه أبو داود (٣٦٠٩).

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لمن عَلِمَ وعَلَم« نَضَّرَ اللهُ امرَأً سَمِعَ مَقالتي فوعاها ، فأدَّاها كما سَمِعَها ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى من سامعٍ» أخرجه أبو داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

دعا له بنضارة الوجه وهذه الدعوة شاملة لنضارة الوجه في الدنيا والأخرة، قال الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

نضرت وجملت بسبب نظرها إلى وجه الله الذي مصدره العلم والعمل وأما الجهل فهو سبيل الشؤم سبيل الشر سبيل البلاء ولهذا سمي الزمن الذي قبل النبي صلى الله عليه وسلم بالجاهلية حيث كثر فيهم الجهل فعبدوا غير الله وقتلوا وزنوا واغتصبوا وسرقوا وظلموا ووقع فيهم كل بلاء، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: ... - وذكرت

أن جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قال للنجاشي -: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ. حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا: إِلَى الله تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ. وَنَهَانَا عَنْ: الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ". قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا...» أخرجه أحمد (٢٢٤٩٨) .

ولا تزال الأمة بخير ما وجد فيها العلم والعلماء فإذا ارتفع العلم ظهر الجهل فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا. » متفق عليه .

ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم لأن الناس لابد أن يسألوا فأنظروا إلى الواتساب وما إليه تجد من يسأل من هب ودب وربما أحلوا الحرام وحرموا الحلال بسبب جهلهم فلابد من سؤال فإذا وجه السؤال إلى العالم وجد العلم وإذا وجه إلى الجاهل افسد.

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: القضاةُ ثلاثةٌ وذكر منهم **" ورجلٌ قضى للناسِ على جهلٍ فهو في النَّارِ"** أخرجه مسلم .

استحق النار حيث قضى بالجهل ؛ وأفتى به فهو من أهل النار والعياذ بالله وعن أبي موسى ﷺ قال: **«أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قبل الساعة أيام يُرْفَعَ فيها الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ فيها الجَهْلُ وفي رواية وَيَثْبُتَ فيها الْجَهْلُ وفي رواية و يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ»** متفق عليه .

ونحن نعاني هذه الأيام من ظهور الجهل في أوساط الناس مع كثرة المدارس والجامعات وكثرة الكتب إلا أن الجهل قد ضرب بأطنابه في قلوب كثيرٍ من الناس لأنهم أخذوا الدراسة من غير وجهها فربما تلقوا علم الكلام علم ما يسمى بالمعقولات وتركوا المنقولات فعند ذلك زهدوا في علم الكتاب والسنة وأقبلوا على العلم الذي يبعد من الكتاب والسنة وقد كان السلف رضوان الله عليهم يبغضون علم الكلام حتى قال الشافعي:

«حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام» .

والنصيحة المنقولة سلفاً عن خلف **«كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك»** وهو الجاهل

ويذكر أن أبا الدرداء، قال: **«كن عالما أو متعلما، أو محبا أو متبعا، ولا تكن الخامس فتهلك»** قال: قلت للحسن: وما الخامس؟ قال: المبتدع "

ثم إن الجهل جهلان:

جهل بالعلم وجهل الطيش وهو مخالفة العمل بالعلم وكلاهما مذموم إلا أن الجاهل بالعلم قد يُعلم لاسيما الذي جهله بسيط وأما صاحب الجهل المركب كأهل البدع والخرافات والحزبيات والأفكار المنحرفة فهذا قل أن يتعلم ويسمى بصاحب الجهل المركب.

وقد قيل فيهم:

قال حمار الحكيم يوما** لو أنصف الدهر كنت أركب

لأنني جاهل بسيط **وصاحبي جاهل مركب

فصاحب الجهل البسيط يوشك أن تقول له هذا حلال فيستجيب أو هذا حرام فيستجيب وأما الذي يظن أنه من أهل العلم وهو من أصحاب

الجهل فهذا هو البلاء ؛ لأنهم يجرون الناس إلى الشر والشرك والشعوذة وأنظروا من يتعاطى السحر والشعوذة إنهم من يوصفون عند الناس بالفقهاء والعلماء كعلماء الشيعة وعلماء التصوف ومن اليهم تجد عندهم كتب السحر كـ "شمس المعارف" و " مندل السليماني" ونحو ذلك من الكتب.

بل يدعون الناس إلى الشرك من تعظيم القبور ودعائها أما زيارة القبور للسلام عليهم فهي مشروعة لكنهم يدعونهم إلى الزيارات الشركية ويخبرونهم أن هذا هو التوحيد مع أنه والعياذ بالله هو الشرك والتنديد .

فلا بد للإنسان أن يحرص على العلم وأن يتلقاه من مصادره من الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح حتى وإن اغلظ عليك العالم فهو في مصلحتك الشرعية وفي مصلحتك الدينية والدنيوية.

قال ابن الوزير رحمه الله كما في العواصم :

وفي نوابغ الحكمة: عليك بمن ينذر الإبسال والإبلاس، واياك ومن يقولُ: لا بَاسَ وَلا تَاس. اهـ

يعني أنك كلما أتيته في مسألة يقول لك: نعم حلال، افعل، لا حرج، الله غفور رحيم.. ونحو ذلك.

فالله الله في تعلم العلم، وسلوك السبل المؤدية اليه ولو بسماع شريط أو خطبة أو محاضرة أو قراءة كتب العلم التي ينشرها أهل السنة والجماعة العلم المأخوذ من القرآن والسنة لا من غيرهما فهذا الذي نلقى الله به والذي ننتفع به في الدنيا والآخرة

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: « يُقَالُ لِصاحبِ الْقُرَآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيا، فَإِنَّ منْزِلتَكَ عِنْد آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا » أخرجه أبو داود .

وذكر في فضيلة معاذ رضي الله عنه أن معاذ يسبق العلماء يوم القيامة برتوة أي برمية حجر والسبب أنه كان من العلماء الراسخين العاملين الداعين إلى العلم فقيمتك في الدنيا والآخرة بقدر ما عندك من العلم، وقد أحسن من قال:

قيمة الإنسان ما يحسنه ** أكثر الإنسان منه أو أقل

وكان من دعاء صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ» أخرجه مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن الأرقم رضي الله عنه .

وقد أمره الله عز وجل أن يقول: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس والعشرون: الغبطة والحسد[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

ونتكلم في هذا المجلس عن خلقين أحدهما ممدوحٌ والأخر مذموم أما الممدوح فهو «الغبطة» وأما المذموم فهو «الحسد» .

[1] كان هذا المجلس في الثلاثين من رمضان لعام ١٤٤١هـ

وضابط الغبطة أن يتمنى المسلم أن يكون له كاخيه المسلم مما ينتفع به على أمر دينه أو دنياه مما لا محظور فيه .

بينما الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير أو عدم زيادة الخير للغير من المسلمين .

والغبطة شرعية والحسد معصية، وهو مذموم فالواجب على المسلم أن يكون مع أخيه المسلم على خير حال ففي حديث أنس رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ:« لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » زاد في رواية «من الخير» متفق عليه .

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:« مَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ بالله وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ » أخرجه مسلم .

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يتبارون ميدان الغبطة فيتنافسون على طاعة الله ويلازمون شرعه ويتمنى احدهم لو استطاع أن يقوم بما فعله فلان من المستقيمين فهذا لا محظور فيه بل هو مرغبٌ فيه، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة:١٤٨] ؛ وقال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[المطففين:٢٦]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :« لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله القُرْآنَ فهو يَقُومُ به آناءَ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ الله الحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بهَا ويُعَلِّمُهَا » متفق عليه .

وعن ابن عمر رضي الله عنه : " لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مالًا، فَسَلَّطَهُ علَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وآخَرُ آتاهُ الله حِكْمَةً فهو يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها" متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ هَذَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ هَذَا " أخرجه أحمد (١٠٢١٤).

فالمراد بالحسد في هذه الأحاديث وما في بابها الغبطة التي ينبغي أن تكون بين المسلمين في التنافس في القرآن والسنة ؛ القرآن أن تحفظه أو تقرأه وتقوم به على خير قيام في صبحك ومساءك وليلك و نهارك.

وفي قوله: « لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مالًا » من ذهبٍ أو فضة أو غنم أو ارض أو رقيق أو غير ذلك « فَسَلَّطَهُ علَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ » ينفق منه هكذا وهكذا وهكذا في طاعة الله من أوجه الخير، فهنيئاً لمن هذا حاله .

فهذا يغبط لأن هذه النفقات ترفعه إلى الله وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي تقدم بيان لما أُجمل في هذين الحديثين من قوله: «لو أن لي مثل فلان لعملت كما عمل فلان» .

فهذا معنى حسن وهو أن الإنسان يتمنى فعل الخير وأن يكون مثل أخيه فيه فهذا يدعو إلى عبادة الله ومكارم الأخلاق والتعاون على البر والتقوى ويدعو إلى الفضائل ويحذر من الرذائل فأي خلقٍ يقربك من الله عز وجل ويكون فيه نفعٌ لعباد الله سبحانه وتعالى فهذا خلقٌ ممدوح فلك أن تغبط أخاك فيه .

وفي حديث أبي كبشة الأنماري:

(إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ الله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ الله فِيهِ حَقًّا،


فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ) أخرجه الترمذي .

بملازمة الأخلاق الكريمة العظيمة الموصلة إلى مرضاة الله عز وجل وإياك والأخلاق الذميمة ومن أشهرها الحسد ففيها من الاعتراض على قدر الله وفيها من بغض للمسلمين وفيها من مشابهة الكافرين وفيها من ضيق الصدور ما الله به عليم لأن الحاسد قلبه في حالة يرثى لها ؛ يصيبه الهَمّ إن رأى صاحبه قد وسع عليه في الملبس والمطعم وفي المدخل أو المخرج في المركب ونحوه فضيق صدره فيعيش كئيباً حزيناً وربما تولد منه الحقد الذي قد لا يزول من القلوب:

وقد أحسن من قال:

لله دَرُّ الحسد ما أعدَلَه** بدأ بصاحبه فقَتَلَه!

ولا احسن من الصبر على أذية الحاسد فإن ذلك يهد قواه، وقد أحسن من قال:

اصبر على كيد الحسود** فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها **إن لم تجد ما تأكله.

وقد أحسن من قال:

تجانب الحرص ودع عنك الحسد**ففيهما الذل واتعاب الجسد

وأنظر إلى حقد اليهود والنصارى والكفار على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المتبعين له، قال الله عز وجل مخبراً عن حالهم: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة:١٠٩]

وقد قال الله عز وجل منكراً عليهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤]

وقد امر الله عز وجل بالإستعاذة من حسد والحاسد لأن العين حق ربما أوردت الجمل القدر والرجل القبر قال الله عز وجل: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾»

وقد قال بعض أهل العلم: " ما خلا جسمٌ من حسد ولكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه".

فهو طبيعة في النفس لكن الكريم يجاهد نفسه في محبة الخير لغيره من المسلمين وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الحسد مراراً وتكراراً،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «لا تحاسدوا» أي يا معاشر المسلمين لا يليق بكم التحاسد فإن فتح الله على أخيك فهو فتحٌ عليك وإن ضيق الله على أخيك فهي ضيقةٌ عليك لأن المؤمن مع أخيه كالجسد الواحد ففي حديث النعمان رضي الله عنه: « مثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفِهم وتراحُمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منْهُ عضوٌ تداعى لَهُ سائرُ الجسدِ بالحمَّى والسَّهَرِ » متفق عليه .

فإذا كان هذا هو الحال فلا عليك أعطى الله المسلم مالاً مركباً بيتاً وظيفةً علماً أو أي عطية من العطايا الحسية أو المعنوية فأنت تهنئه بها وتدعو له بثباتها وتتمنى له بقاءها لأن الحال واحد.

فكثير من الناس قد أصيب بالمس والسحر والعين والمكر وسببه الحسد فالحسد داءٌ قد ضرب بأطنابه في الأمة وسبب ذلك التنافس في الدنيا على غير الوجه الشرعي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ولا تنافَسُوا » أي التنافس المفضي إلى التحاسد « لا تَحَاسَدُوا » أي التحاسد المفضي إلى تمني زوال النعمة عن الغير « لا تَقَاطَعُوا » إذ هو من نتائج الحسد « وَلا تَبَاغَضُوا و لا تَهَاجَروا وَلا يَبِعْ بَعْضُكُم على بيع بَعْضٍ » ؛ «لا يَخطُبُ أحدُكم على خِطبَةِ أخيه».

فكلها من نتائج الحسد ؛ أسأل الله السلامة والعافية.

ولو تأملنا حال الصحابة رضوان الله عليهم حين تحررت قلوبهم من هذا الوصف الذميم تقاسموا أقل القليل، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ ، أوْ قَلَّ طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ ، جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهِ بينهم في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ » متفق عليه .

والسبب فيما كانوا عليه، المحبة التي في قلوبهم لبعضهم والتفاني في طاعة الله عز وجل والأثرة التي أعطاهم الله إياها، قال الله عز وجل مخبراً عن الأنصار: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩]

فقد قدموا للمهاجرين الأموال والضيعات بل عرض بعضهم طلاق امرأته، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ الله، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْيَمْ»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟» قَالَ:

نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - قَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» أخرجه البخاري .

فلم يستغل المهاجرون هذا التفاني والبذل بل كل يفرح لأخيه بالخير .

ألا فلنتأسى بهم ولنأخذ بطريقتهم في المعاملات والاعتقادات والعبادات

«فكل خيرٍ في اتباع من سلف** وكل شرٍ في ابتداع من خلف».

إذ أن التأسي بالسلف الكرام في جميع الأبواب:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم**إن التشبه بالكرام فلاح

تشبه بهم في حسن العقيدة وصلاحها وبعدها عن عقائد أهل البدع من الحزبيات وغيرهم .

تشبه بهم في العبادات بأن تعبد الله عز وجل كما عبدوه على وفق سنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ تشبه بهم في المعاملات والأخلاق.

والحال معهم كما قال الله عز وجل: ﴿ أُولـئِكَ الَّذينَ هَدَى الله فَبِهُداهُمُ اقتَدِه ﴾[الأنعام:٩٠]

قال تعالى: في ذكر شأنهم: ﴿ وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ الُمهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ رَضِيَ الله عَنهُم وَرَضوا عَنهُ ﴾ [التوبة:١٠٠] ؛ وقال: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

أُولَـئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[الحديد:١٠]

فالله الله في الأخذ بمحاسن الأخلاق ومكارمها وسؤال الله عز وجل إياها والبعد عن سفاسفها فإنها مذمومة بالشرع والفطرة والعقل وهذا امرٌ متفقٌ عليه بين العقلاء إلا من خرج من زمرتهم والا فهم متفقون على أن الأخلاق الكريمة ممدوحة بالعقل والفطرة والشرع ولذلك كان خيار الجاهلية على عظيم مكارم الأخلاق وحسنها ربما لا يكذبون ولا ينتهكون الحرم ولا يخونون ويوفون بالوعود والعهود فجاء الإسلام مقراً للأخلاق الحميدة الفاضلة داعياً اليها محذراً مما هو سواها.

قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

وقالت عائشة رضي الله عنها:« كان خُلقُه القرآنَ » أخرجه مسلم .

اذاً فالعمل بالقرآن والسنة هما الباب الواسع والطريق المستقيم للوصول إلى مكارم الأخلاق فيما بينك وبين الله وفيما بينك وبين عباد الله ما عليك إلا أن تكون متبعاً متأسياً مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم وابشر من الله بالخير.

نسأل الله عز وجل أن يهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو ونعوذ بالله من سفاسفها لا يصرف سفاسفها إلا هو.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك ربي وأتوب اليك

والحمد لله رب العالمين.

المجلس السادس والعشرين: الشفاعة الحسنة والسيئة[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

وتتمة لما كنا قد شرعنا فيه في رمضان بذكر بعض الأخلاق الحسنة وما يضادها من الأخلاق السيئة فتذكر الحسنة ليبادر اليها ويعمل بها ويدعى اليها وتذكر السيئة لتحذر وينفر عنها ومنها " فبضدها تتبين الأشياء " "وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ".

وعن حذيفة رضي الله عنه يقول: « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي» متفق عليه .

ومن هذه الأخلاق الجميلة الجليلة العظيمة الشفاعة في قضاء حوائج المحتاجين وضدها المنع وذلك أو الشفاعة السيئة.

قال الله عز وجل: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥]

[1] كان هذا المجلس في الثاني من شوال لعام ١٤٤١هـ

فالشفاعة الحسنة بقضاء الحوائج وتيسير الأمور تعتبر من الأمور الممدوحة فكم من إنسانٍ يحتاج إلى شفاعة هذا في زواجٍ وهذا في دينٍ وذاك في بناءٍ وفي غير ذلك من المسائل.

ولذلك: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ» أخرجه مسلم (٢٦٢٧) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه .

وعن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ» أخرجه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: « واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيهِ » أخرجه مسلم .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» أخرجه البخاري

فالناس يختلفون من حيث الوجاهات وسماع الأقوال فإذا كان الله قد جعل لك قبولاً فبذل هذا القبول في تفريج حوائج المسلمين فيما دق وجل وفيما صغر وعظم ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فارقت بريرة مغيثا جعل يشفع عندها في العودة إليه حتى قال لعمه العبَّاس« يا عَبَّاسُ، ألَا تَعْجَبُ مِن حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، ومِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لو رَاجَعْتِهِ قالَتْ: يا رَسولَ الله تَأْمُرُنِي؟ قالَ: إنَّما أنَا أشْفَعُ قالَتْ: لا حَاجَةَ لي فِيهِ» أخرجه البخاري .

فالشفاعة غير ملزمة ولكنها دلالة وتوجيه وإرشاد إذا كانت في الخير إلى الخير ولما اختلف ابن أبي حدرد رضي الله عنه مع كعب بن مالك رضي الله عنه في الدين الذي عليه وارتفعت أصواتهما في المسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا كَعْبُ، فَقالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ الله، فأشَارَ بيَدِهِ أنْ ضَعِ الشَّطْرَ، فَقالَ كَعْبٌ: قدْ فَعَلْتُ يا رَسولَ الله، فَقالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قُمْ فَاقْضِهِ » متفق عليه .

وكم هي المواقف النبوية في هذا الباب فمن كان له جاهٌ أو مالٌ أو قولٌ فليبذله في مصالح المسلمين فإن ذلك من أسباب رفعته وعلو منزلته وقضاء حاجته وتيسير أمره فالجزاء من جنس العمل.

وقد كان معاوية رضي الله عنه أميراً للمؤمنين فكان يأتيه طالب الحاجة فيؤخرها ويقول لمن حوله اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا » أخرجه مسلم .

فالشاهد أن الإنسان يبذل ما استطاع به إدخال السرور على المسلمين والناس تتفاوت في قبول وجاهتها .

وإياك أن تشفع في الشر ؛ مثل شراء الخمر والمخدرات والقات ولا تشفع في الشرور التي تلحق الناس، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾

أي يجعل الله له نصيباً وحظاً ووزراً وإثماً فسخر قولك وفعلك وما يتعلق بك في تفريج كربات المسلمين وإصلاح شأن المسلمين وابتعد عما يؤدي إلى الحاق الضرر بالمسلمين فإن ذلك يضره والناس كما قلت لكم يحترمون الكثير ويتنكرون للكثير فلو جاءك رجلٌ في طلب حاجة فلا تبخل بوجاهتك ولا تبخل بكلمتك.

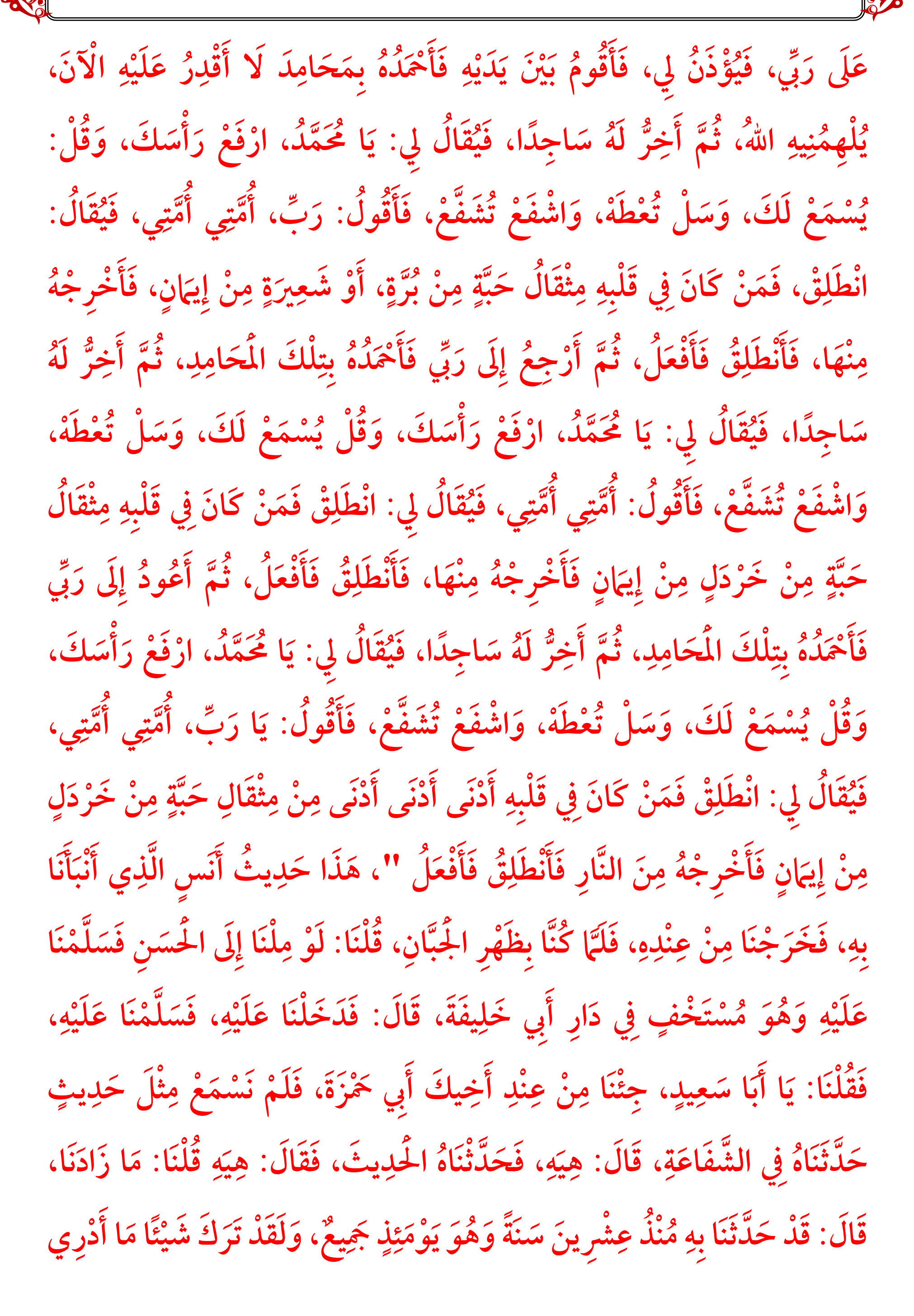
فالشفاعة شأنها عظيم حتى في الآخرة قال الله عز وجل: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ؛ وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وأُكرم الله بالشفاعة عنده خيرة الخلق وأزكى الخلق فعن أنس رضي الله عنه « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » متفق عليه .

فيكرم الله عز وجل الناس يوم القيامة لاسيما المؤمنين بشفاعة الشافعين من المؤمنين فكم ترفع من درجات وكم تكفر من سيئات وكم يخرج من الدركات بسبب الشفاعة وأشهرها وأظهرها الشفاعة العظمى في الفصل بين العباد قال الله عز وجل في بيان فضل محمدٍ صلى الله عليه وسلم :﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[الإسراء:٧٩]

وكان المقام المحمود هو الشفاعة للقضاء بين العباد ثم تتلوها الشفاعة في إخراج أصحاب الكبائر.

فعن أنس رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الله، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ الله، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ



عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ "، هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجُبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيَهِ، فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيَهِ قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي

أَنَسِيَ الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ، فَتَتَّكِلُوا، قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ، " ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ - وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " متفق عليه .

فأمورٌ عظيمة تلحق المؤمنين في الدنيا والآخرة بسبب الشفاعة ولهذا كان من دعاء المؤمنين: اللهم ارزقني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

فالشفاعة شأنها عظيم ؛ ومنزلتها رفيعة فابذل نفسك في نفع غيرك مما هو من أمور الخير والصلاح وامنع نفسك من الشفاعة في الباطل وأهل الباطل والله المستعان.

وإني لأذكر مسألةً من باب العظة و العبرة لا من باب العجب والرياء بإذنه سبحانه وتعالى وذلك أني لما وصلت إلى دماج في أخر جماد الثانية ١٤١٨هـ أردت من يشفع لي عند الشيخ مقبل فكان أكثر الأخوة يعتذرون ويتهيبون من الشفاعة عند الشيخ رحمه الله وذلك لأنه كان قد أعطى شرطاً بمنع أصحاب العوائل من الحضور بعائلاتهم حتى يقع منهم الاستئذان

وكنت قد أتيت دماج بغير هذا الأمر فتهيب الأخوة من ذلك وجعلت امر عليهم ويعتذرون ثم إني أتيته رحمه الله وسلمت و استأذنت فرحب وأهَّل وبعدها بحمد الله ما تركت باباً اشفع عنده أو عند خليفته بعد موته لأخواني إلا وسلكت هذا المسلك حتى أن بعضهم مرة من المرات غضب من شفاعتي فقال: أنت تشفع في كل شيء ؛ قلت له : شفاعتي ليست ملزمة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **« اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب».**

والله المستعان وعليه التكلان .

والحمد لله رب العالمين.



المجلس السابع والعشرون: النور و الظلمة[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

أما بعد:

في هذا المجلس نتكلم عن أمرين الأول النور والظلمة.

فالنور وصفٌ محبوبٌ إلى النفوس ولهذا وُصِفَ الله عز وجل به وسمي به على القول الصحيح بأوجه بينها ابن القيم رحمه الله كما في " مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٥٢)" في بيان قول الله عز وجل:﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[النور:٣٥] فأخبر سبحانه عن مثل نور الإيمان به وبأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق رسله في قلوب عباده وموافقة ذلك لنور عقولهم وفطرهم التي أبصروا بها نور الإيمان بهذا المثل المتضمن لأعلى أنواع النور المشهود وأنه نور على نور. نور الوحي ونور العقل نور الشرعة ونور الفطرة نور الأدلة السمعية ونور الأدلة العقلية. اهـ

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل: « اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ أنتَ نورُ السَّماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ » متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[1] كان هذا المجلس في الثالث من شوال لعام ١٤٤١هـ

وجعل كتابه نوراً يهدي به من يشاء من ظلمات الجهل والشرك والكفر إلى نور التوحيد والإسلام قال الله عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢] وقال ربنا عز وجل الله: ﴿ الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٧].

فكون المسلم على طاعة الله عز وجل وعبادته وتوحيده وإخلاص العمل له وعلى متابعة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو في نور وإن كان في غرفةٍ مظلمة وإن كان في ليلٍ دامس لأن النور منه الحسي ومنه المعنوي.

أما الحسي فوجوده من النعم قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص:٧١-٧٣]

ومع ذلك كم تقع في ظلمة الليل من تفريجٍ للكربات وإجابةٍ للدعوات وقضاء للحاجات لاسيما ممن انزلها برب الأراضين و السموات وهاكم ما لحق يونس عليه السلام حين القي في ظلمات البحر ثم كان في ظلمات الحوت ثم كان في ظلمة الليل ومع ذلك لجأ إلى الله بقوله: ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فقال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الخير والشر من الله لا تعلق له بنورٍ وظلمة ولا تعلق له بليلٍ ونهار كما يزعم الثنوية من المجوس عباد النور والظلم حتى قال القائل:

وَكَم لِظَلامِ اللَيلِ عِندَكَ مِن يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ المانَوِيَّةَ تَكذِبُ

فالشاهد أن الظلمات الحسية قد لا يتعلق بها كثير أمرٍ بالإنسان ولكن الذي يضره هو الظلمات المعنوية كما أن الذي ينفعه الله به هو النور المعنوي:

نور القرآن ؛ والسنة ؛ والإيمان ؛ والعلم ؛ والطاعة.

ولهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في أخر الليل وقيل عند خروجه لصلاة الفجر ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه:

« اللهمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وفِي سَمْعِي نُوراً، وفِي بَصَرِي نُوراً، وَفِي لِسَانِي نُوراً، وفي شعري نوراً، وفي بَشَرِي – ظاهر جلدي – نوراً، وفي عظمي نوراً، وفِي عَصَبِي نُوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُوراً، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، اللهمَّ أَعْطِنِي نُوراً » (رواه البخاري ومسلم).

وذكر ثمانية عشر أمراً كما أشار إليه غير واحد من الرواة ؛ فدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه وتعليم النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بالدعاء بالنور يدل على أهمية سلوك هذا السبيل ؛ اللاحب الذي لو فيهما اشتدت الظلمات ما زال نيراً يراه الأعمى ويُرى في ظلمة الليل نعم، فعن العرباض قال النبي صلى الله عليه وسلم: « تَرَكْتُكُم على مِثْلِ البيضاءِ، ليلُها ونهارُها سواءٌ لا يَزيغُ عنها إلَّا هالِكٌ » .

فنور الله الذي هو نور العلم ونور الإيمان ونور السنة ونور القرآن اذا أعطاه الله عز وجل أحداً علم الحق من الباطل والهدى من الضلال والتوحيد من الشرك والسنة من البدعة والطاعة من المعصية وكان هذا النور ملازماً له في حياته الدنيوية وفي حياته البرزخية وفي حياته الآخروية.

وأما الكافر فهو في ظلمات وإن كان مبصر العينين في ظلمات الشرك والجهل والبدعة والمعصية ولذلك قال الله عز وجل بعد أن ذكر المثل للكافرين: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

فالكافر لم يجعل الله عز وجل له نوراً في قلبه ؛ نوراً في بصيرته فهو يتقلب في ظلمات الشر العظيم ويكون يوم القيامة في دركات النار المظلمة المسودة المحرقة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بينما أهل الإيمان في نورٌ عظيم ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان:١٣-١٤]

نورٌ على الصراط فإن الله عز وجل يعطيهم نوراً يمشون به على الصراط ويدعون الله بتمامه: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد:١٢]

يبشرون في موطنٍ ويدعون الله عز وجل بتمام النور في نفس الموطن وهذا من نعمة الله عليهم فلا يزيغون عنه مع شدة الأهوال وشدة الحالات واللحظات بينما المنافقون يعطيهم الله عز وجل نوراً على قدر ما كانوا

يُرَاءُون ويظهرون من الخير فيكون نورهم معهم إلى أن يستقروا على الصراط فيذهب الله عز وجل ذلك النور لأنهم لم يلازموه في ليلهم ونهارهم وسرهم وجهارهم فكانت أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر لأنهما صلاتان في ظلمة فكانوا يتخفون و يُرَاءُونَ الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ولذلك حرموا النور على الصراط أحوج ما يكون إليه، قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ الله وَغَرَّكُم بِالله الْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٣-١٤].

فصارت حياتهم في ظلمة حين تهاووا وتقادعوا في النار وبئس القرار.

فيا مسلم نَوِّر نفسك بالإيمان ؛ نَوِّر نفسك بالإحسان ؛ نَوِّر قبرك بطاعة الرحمن ؛ نَوِّر دنياك وأخراك بسلوك سبيل أهل الخير قال النبي صلى الله عليه وسلم: « بشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامِّ يومَ القيامةِ» أخرجه أحمد .

فالجزاء من جنس العمل نعم « بشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامِّ يومَ القيامةِ» الناس في سباتٍ ونوم وبعدٍ وهذا يخرج ربما قد ضعف

بصره يخشى من الهوام لاسيما في البوادي والقرى ويخشى المتربصين من الإنس والجآن ومع ذلك خرج لطاعة الملك العلام سبحانه وتعالى فأكرمه بالنور التام يوم القيامة بل يكون وجهه نور وأبيض قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧]

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ» قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ. قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِنْ حَزِنَ النَّاسُ» ثُمَّ قَرَأَ {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} *[يونس: ٦٢]*" أخرجه أبو يعلى .

والنور هو عطاء الله للمؤمنين، أما الكافرين فلا حظ لهم قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٤٠]

فمهما كان قبور المسلمين مظلمة موحشة في ظاهرها ولكنها رحمة ونور في باطنها فيفسح له مد البصر ويأتيه رجلٌ حسن الوجه ؛ حسن اللون ؛ حسن الثياب فيقول وجهك الذي يأتي بالخير.

وقبور المشركين لاسيما في بعض الدول قد تفننوا في تجهيزها فربما تجد عمارات إلى طوابق عديدات تظنها سكن للأحياء وهي سكن للأموات قد نوروها بالكهرباء وزينوها بغير ذلك من الزينة ولكنها قبورٌ مظلمةٌ على أصحابها حيث تضيق عليهم وتتخالف أضلاعهم ويشتد حالهم ويكونون في القيامة على أسوأ حال كما كانوا في الدنيا على أسوء حال من ظلمات الشرك والبدع والخرافات والمعاصي والسيئات نسأل الله عز وجل السلامة والعافية، والله المستعان .

نسأل الله السلامة والعافية .

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن والعشرون: المؤمن القوي والضعيف[١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد :

نتكلم في هذا المجلس عن أمرٍ دل عليه الكتاب والسنة وهذا الأمر ينقسم إلى شقين شقٌّ ممدوح وشقٌّ مذموم وهو ما تضمنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم:

«الْمُؤمِن الْقَوِيُّ خيرٌ وَأَحبُّ إِلى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفي كُلٍّ خيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا ينْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجَزْ. وإنْ أصابَك شيءٌ فلاَ تقلْ: لَوْ أَنِّي فعلْتُ كَذَا كانَ كَذَا وَكذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قدَّرَ الله، ومَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

فالمؤمن القوي من زاد إيمانه والمؤمن الضعيف من نقص إيمانه والناس في هذا الباب يتفاوتون منهم من كمل إيمانه كالملائكة وخلص عباد الله عز وجل من البشرية ومنهم من ذهب إيمانه كالكافرين والمنافقين والشياطين ومنهم بين ذلك ممن ضعف إيمانه كعصاة المسلمين والموحدين ولكلٍ أحكامه.

[١] كان هذا المجلس في الرابع من شهر شوال لعام ١٤٤١هـ

أما الخلص فيدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب ويكرمون بكرامات الدارين .

وأما الخلص في الكفر فيدخلون النار ويخلدون فيها أبد الآباد، قال الله عز وجل: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ: ٢١ - ٢٦]

وقال الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، و عن ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ "، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا

فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: " ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» متفق عليه

.

وقال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٦، ١٠٧]

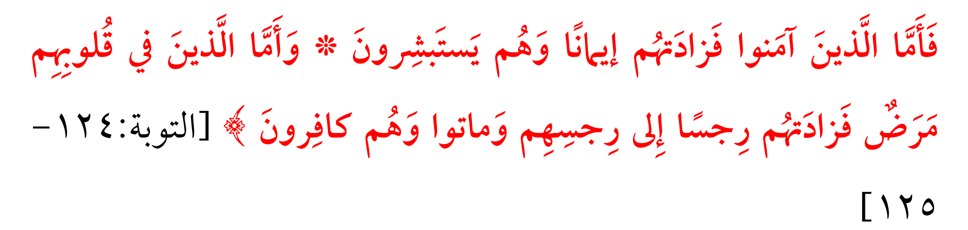
وأما من ضعف إيمانه بترك بعض الواجبات أو ارتكاب بعض المحرمات ومات ولم يتب منها فهو تحت المشيئة إن شاء الله عز وجل غفر له وإن شاء عذبه، قال الله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

وقد أحسن السفاريني إذ يقول:

ومن يمت ولم يتب من الخطأ ** فأمره مفوض لذي العطا

فإن يشأ يعفو وإن شاء انتقم ** وإن يشأ أعطى وأجزل النعم

فالمتعين علينا أن نسعى في زيادة الإيمان الذي دل عليه القرآن والسنة قال الله عز وجل: ﴿وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ فَمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكُم زادَتهُ هـذِهِ إيمانًا



فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنوا فَزادَتهُم إيمانًا وَهُم يَستَبشِرونَ * وَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَماتوا وَهُم كافِرونَ ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥]

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّما المُؤمِنونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ الله وَجِلَت قُلوبُهُم وَإِذا تُلِيَت عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ * الَّذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقونَ ﴾ [الأنفال:٢-٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾[المدثر:٣١]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَـذَا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَيَزيدُ الله الَّذينَ اهتَدَوا هُدًى ﴾ [مريم:]

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة دلالة صريحة على زيادة الإيمان وهي متضمنة للدلالة على نقصان الإيمان واستدل البخاري رحمه الله على زيادة الإيمان ونقصانه بقول الله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[المائدة:٣] حيث قال: فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص.

ومن عقيدة أهل السنة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فينبغي للعبد أن يلازم الطاعات والقربات حتى يلقى الله عز وجل بها فكلما زاد عمله الصالح زاد إيمانه بحسبه وكلما نقص العمل الصالح نقص إيمانه وبحسبه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري: « مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَارِبة، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ »

والشاهد من الحديث أن المؤمن محبوبٌ عند الله وأحب ما يتقرب به إلى الله عز وجل الفرائض وتناله بذلك الولاية واذا ازداد من النوافل زداد قربةً ورفعةً ومنزلة وإذا نقص لحقه النقص.

وفي حديث أبي سعيد عند مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ».

فدل على أن الإيمان يزيد اذا كان المؤمن مغيراً للمنكرات ؛ مبغظاً لها ؛ محذراً منها وينقص اذا لم يقع منه ذلك إلا أن الناس يتفاوتون فمن أحب

المنكر ناله من إثمه وإن لم يعمله ومن أبغض المنكر سلم من إثمه ففي حديث أبي كبشة: " ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ "، قَالَ: " فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَّصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةٌ ،ولا وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ فَيَصْبِرُ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ، وَأَمَّا الَّذِي أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ "، فَإِنَّهُ قَالَ: " إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ اللهُ فِيهِ حَقَّهُ "، قَالَ: " فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ " قَالَ: " وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا؟ " قَالَ: " فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ " قَالَ: " فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ "، قَالَ: " وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ اللهُ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ " قَالَ: " وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: هِيَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ " أخرجه أحمد .

وقد قسم عز وجل المؤمنين إلى سابقين وأصحاب اليمين والصف الثالث من عنده نوع قصور لكن يرجى لهم الخير جميعاً إلا أن المبادرة مطلوبة قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

فالظالم لنفسه هو مرتكب الكبائر مع وجود أصل الإيمان والمقتصد هو المحافظ على الواجبات الملازم لها والسابق بالخيرات هو المحافظ على الواجبات والمستكثر من المستحبات.

فإذاً لابد للإنسان أن يسعى في زيادة إيمانه بالطرق الشرعية المرضية متابعاً في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم خير البرية فإن متابعته هي سبب الخير العظيم.

وفي مسلم عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ الله فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا

رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أخرجه مسلم .

والمعنى أنهم إذا ذكروا الجنة والنار زهدوا في الدنيا وبادروا إلى الأعمال الصالحة واذا شغلوا بالزوجات والضيعات والأبناء ربما وقع نوع تقصير والناس يتفاوتون في التقصير.

قال أَبو بكر رضي اللهَّ عنه : فَوالله إِنَّا لنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فانْطلقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْر حتى دخَلْنَا عَلى رسول اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم . فقُلْتُ نافَقَ حنْظَلَةُ يا رسول اللهَّ ، فقالَ رسولُ اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: « ومَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يا رسولَ اللهَّ نُكونُ عِنْدكَ تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجْنَةِ كَأَنَّا رأْيَ العَيْنِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسنَا الأَزواج والأَوْلاَدَ والضَّيْعاتِ نَسِينَا كَثِيراً . فقال رسولُ اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ أن لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْر لصَافَحتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُم وفي طُرُقِكُم ، وَلَكِنْ يا حنْظَلَةُ ساعةً وساعةً » .

ومعنى ذلك أن الإنسان لو كان مبادراً إلى الطاعات محافظاً عليها مجتنباً للمعاصي والسيئات لكان شأنه بالإيمان عظيم ومرتبته عالية ولكن اذا ضعف إيمانه لحقه من الضرر في طمأنينة القلب وانشراح الصدر وهدوء البال والحياة الطيبة بقدر ما لحقه من النقص وربما لحقه يوم القيامة من ذلك ما يلحقه.

فلازم المحافظة على الفرائض من صلاةٍ وحجٍ وصيامٍ وزكاةٍ ونحو ذلك.

ولازم الذكر فإنه من أعظم أسباب زيادة الإيمان ؛ ولازم قراءة القرآن فبه يزداد الإيمان ؛ لازم المجالس العلمية ففيها يزداد الإيمان كما تقدم في حديث حنظلة الكاتب ولازم كل ما امر الله عز وجل به ما استطعت واترك كل ما نهى الله عز وجل عنه تجد الأثر العظيم في زيادة الإيمان وحصول الاطمئنان قال الله عز وجل: ﴿ مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ ﴾.

وأما من ضعف إيمانه لتعاطيه الكبائر أو لتركه الواجبات فهو على خطرٍ عظيم يحتاج إلى توبة نصوح ورجوع إلى الله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١]

ولابد للإنسان من محاسبة نفسه بين الحين والآخر حتى يعلم ما فاته من الخير أو ما وقع فيه من الشر والضير فرجحانك في الميزان بقدر رجحانك في الأعمال.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما ضحك الصحابة من دقة ساقيه قال: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» أخرجه أحمد .

فالله الله في طاعة الله والإقبال عليه بالطاعات والقربات والفرائض والواجبات فإن عجزنا أو قصرنا فعلينا بملازمة الاستغفار والتوبة إلى الواحد القهار وعدم الإصرار أو الاستمرار فيما يسبب لنا النقص في ديننا فإن ذلك سببٌ للخسارة.

قال الله عز وجل: «وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾» .

فهذا هو ديننا ؛ قائمٌ على فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور فمن فعل ذلك فهو المؤمن حقاً ومن قصر فيه ناله من النقص بقدر تقصيره.

ولما ذكر الله عز وجل ما يتعلق بالمؤمنين في أول سورة الأنفال: { أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٤]

يعني هم المؤمنون حقا ظاهراً وباطناً بملازمتهم لما يرفع إيمانهم ويزيده ولبعدهم عما ينقص إيمانهم ويضعفه .

اسأل الله عز وجل أن يرزقنا إيماناً دائما .

والحمد لله رب العالمين.

المجلس التاسع والعشرون: الاجتماع و الفرقة[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

نذكر في هذا المجلس أمرين عظيمين أحدهما حث عليه الإسلام ورغب والثاني حذر منه وذمه ألا وهما الاجتماع والفرقة.

فإن من مهمات الدين ومسائله العظيمة الجماعة ولا تكون الجماعة إلا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ » أخرجه أحمد .

وفي حديث الحارث الأشعري في قص النبي صلى الله عليه وسلم لوصية عيسى أو لوصية يحيى بن زكريا لأصحابه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم في أخرها « وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ الله أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمعُ والطَّاعةُ والجِهادُ والهجرةُ والجماعةُ » أخرجه الترمذي .

[1] كان هذا المجلس في الخامس من شوال لعام ١٤٤١هـ

والجماعة ابتداءً هم الصحابة ومن سار على سيرهم واقتفى أثرهم ولهذا سمي أهل السنة بالجماعة وربما قيل فيهم أهل السنة والجماعة أي أنهم اجتمعوا على الحق الذي جاء من الله فعن ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» أخرجه الحاكم .

وكان الإجماع حجة شرعية قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

والشاهد في قوله : ﴿ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإن سبيل المؤمنين قائمٌ على الاجتماع على الكتاب والسنة والاجتماع على العقيدة الصحيحة والمذهب القويم والصراط المستقيم وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فأمر الجميع أن يكونوا معتصمين بحبل الله مهتدين بهداه متمسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أجل الاجتماع حرم الله عز وجل الخروج على ولاة أمر المسلمين فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ

خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ» أخرجه مسلم (١٨٤٨) .

فمن الأصول العظيمة التي بنى عليها أهل السنة دعوتهم ملازمة الجماعة وهي من الأصول الستة التي ذكرها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب لكن يجب أن يعرف الجميع أن الاجتماع لا يتم إلا على الكتاب والسنة لانها الوحي الشريف، قال الله عز وجل: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ٨٢].

ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شأن الفرقة قال: « **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ** » أخرجه أبو داود والترمذي عن العرباض رضي الله عنه .

فالسنة هي سبيل القوة وسبيل المكنة وسبيل كل خير في الدنيا والآخرة، وقد أحسن أبو عمرو الداني إذ يقول:

تدري أخي أين طريقُ الجنّهْ ** طـــريـقـها القــرآنُ ثمّ السُّنَّــهْ

وما جاء عن جابر رضي الله عنه في البخاري أن « **مُحَمَّدٌ فَرْقٌ بيْنَ النَّاسِ** » فليس المراد به الدعوة إلى الفرقة وإنما المراد أن الناس تميزوا بعد ظهور دعوته إلى مؤمنين وكفار وإلى أبرارٍ وفجار.

فتميز أهل الحق واصبحوا جماعة واحدة .

ولعظم شأن الاجتماع حث الله وأوجب صلاة الجماعة وجعل كثيراً من أمور الدين قائمة على الجماعة قال الله عز وجل:﴿ وَقُومُوا اللهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ [النساء:١٠٢]

فإذا كان قد أمرهم بالجماعة في الحرب فما بالك في غيره وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بالصَّلاةِ فَتُقامَ، ثُمَّ أُخالِفَ إلى مَنازِلِ قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عليهم » متفق عليه .

وفي شأن الصيام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صُومُوا لرؤيتِهِ، وأفطِروا لرؤيتِهِ» أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها .

والصحيح من أقوال أهل العلم أنه لو رأى رجل الهلال بنفسه ولم يقبل منه الحاكم هذه الشهادة لا يجوز له أن يصوم إلا مع جماعة المسلمين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الفطرُ يومَ تُفطِرون، والأضْحى يومَ تُضَحُّون».

فينبغي للمسلمين أن يلزموا سبيل الجماعة بعيداً عن الفرقة والحزبية والبدعة التي مزقت المسلمين وأضعفت قواهم وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

فلا تفترق أيها المسلم عن أخيك فعن النعمان بن بشير ﵁ قال النبي ﷺ: « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ » متفق عليه .

وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم الفرقة وأخبر أنها سبيل أهل الكتابين «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد جاء عن عوف بن مالك ومعاوية وغير واحد تعيين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بقوله صلى الله عليه وسلم: «كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قيل : من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي»

فالفرقة سببٌ للشر وحصول الضرر في المسلمين ولهذا كانت الفرقة أضر على أهل الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين لاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة حيث تكاثرت الأحزاب وتنوعت وكثر الداعون اليها والمتعصبون لها حتى أصبحت البلاد والعباد في هرجٍ ومرجٍ وقتلٍ وقتالٍ وتباغض وتنافر وتهاجر وتقاطع وتدابر إلى غير ذلك من الأمور التي

يندى لها الجبين وتغضب رب العالمين وتخالف سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وتخالف منهج السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين.

والجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك لأن من شذ عن الحق فهو الشاذ وإن كان أكثر الناس قال الله عز وجل: ﴿ وَما أَكثَرُ النّاسِ وَلَو حَرَصتَ بِمُؤمِنينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]؛ ﴿ وَما يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِالله إِلّا وَهُم مُشرِكونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]؛ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] إلى غير ذلك.

فالزم الحق وأنت الجماعة لأنك في جماعة الصحابة وجماعة التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ولأنك ملازم لكتاب رب العالمين ولسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا .. وإذا افترقن تكسرت أحادا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ » أخرجاه .

عَنْ جُنْدَبٍ بن عَبْدِ الله، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا» أخرجه مسلم (٢٦٦٧).

وعن عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو ، قَالَ : هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، قَالَ : فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ » أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو.

فالاجتماع نعمة وقوة ورفعة ومكنة وعز وسؤدد وصفاء بال وحسن حال وجميل فعال وخصال ويجر إلى احسن المآل بينما الفرقة عذاب وضيقة وهمٌ وغم وتقاطع وتهاجر وتدابر وضعفٌ وخور، قال الله عز وجل: ﴿وَلا تَنازَعوا فَتَفشَلوا وَتَذهَبَ ريحُكُم وَاصبِروا إِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أيها الناس إن القوة كل القوة وإن النصر كل النصر في الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ

خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ »؛ أخرجاه عن معاوية وجاء عن ثوبان والمغيرة وجابر وعبدالله ابن عمرو وعقبة بن عامر وعن غيرهم.

وجاء بلفظ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ » متفق عليه .

ما سبب ظهورهم الاجتماع على الحق ؛ والأخذ به والنصرة له وسبب عدم التمكن من خذلانهم قوة التلاحم التي بينهم بحيث يحب بعضهم لأخيه ما يحب لنفسه ممتثلاً أمر النبي صلى الله عليه وسلم « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه عن أنس رضي الله عنه.

بينما في جانب الفرقة تجد الضعف بسبب التحزب وافترق فالتحزب لغير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تحزب للشيطان قال الله عز وجل: ﴿ أُولَـئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

هو حزبٌ خاسر وطريق بائر وذلك أن الفرقة تفرح الشيطان وتغضب الرحمن قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ » أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

ألا أن من أعظم فتنة الديموقراطية مع ما فيها من الشر العريض والبلاء العظيم لهو دعوتها إلى ما يسمى بالتعددية الحزبية التي انهكت الأمة الإسلامية وأضعفت الأواصر الدينية وتسلط السفهاء على أهل الحل والعقل لأنها دينٌ قائمٌ على الرأي والرأي الآخر ؛ قائمٌ على الفرقة ؛ قائمٌ على تعظيم شأن السفهاء واحتقار أصحاب القلوب السليمة والفطر المستقيمة.

فلنحذر كل الحذر من مداخل الشيطان وإياكم ومن يقول بأن الجماعات الإسلامية كالمصحة أو أن الجماعات الإسلامية سبيلها سبيل المذاهب فالمذهبية ليست من ديننا ولم يأمر بها نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بها ربنا سبحانه وتعالى بل إن الأمر أن نكون أمة واحدة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

إلى غير ذلك من الأدلة فنحن مأمورون أن نكون أمة واحدة في جميع شأننا نبينا واحد وربنا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة فيجب أن تكون عقيدتنا واحدة على وفق ما جاء من الله وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أن نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة ثم نكون هكذا فيسلك الناس الصعب

والذلول منهم من يعبد القبور ومنهم من يسب الأصحاب ومنهم غير ذلك فهذا لا يكون .

فلا تكون أمة واحدة إلا على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ثم إن ألفة القلوب من الله، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣]

فتآلف القلوب والأبدان وتعاظم الأخوة وحصول الترابط كل ذلك مرده إلى الكتاب والسنة وإلى العلم والعمل وإلى إخلاص العمل لله والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

جنبنا الله وإياكم مضلات الأهواء والفرقة والحزبية وجميع هذه البلايا التي تؤدي إلى الشر العريض في الدنيا والدين والله المستعان .

والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثلاثون: الذكر و الإعراض[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

وهذا هو المجلس الأخير من مجالس رمضان لهذا العام نتكلم فيه عن أمرين مهمين أحدهما يرفع به العبد الجنان ويكرم به ويثقل الميزان والآخر يذل به العبد ويهان وربما كان في الدركات والنيران الأول منهما: وصف أهل الإيمان والثاني وصف أهل النفاق والكفران ألا وهما: الذكر والإعراض.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

مفهوم هذه الآية ما دل عليه قول الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

فإن ذكر الله عز وجل دواءٌ لكل مطلب وموصلٌ لكل مطلوب فهو أكبر كما قال الله عز وجل: ﴿ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

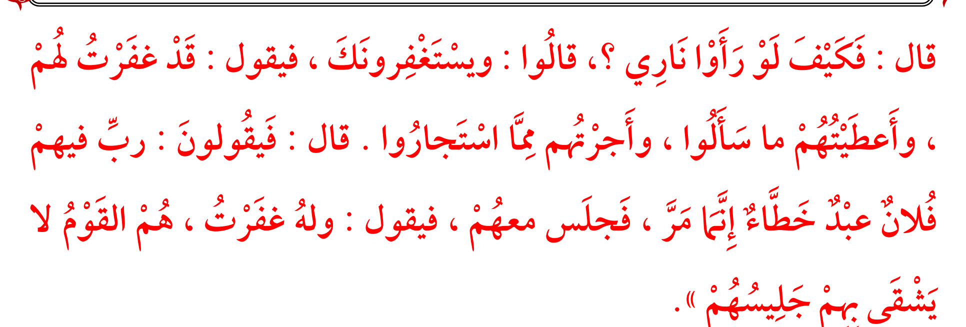
[1] كان هذا المجلس في السابع من شهر شوال لعام ١٤٤١هـ

وهو أكثر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له الصحابة نكثر قال: « اللهُ أَكثَرُ » أخرجه الترمذي (٣٥٧٣) عن عبادة رضي الله عنه .

وهو سببٌ لصلة الله للعبد إذ أن العبد بذكره لربه يذكره ربه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: « أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ » متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن كان الله عز وجل معه أعانه وحفظه ونصره ومكنه وسدده فينبغي للإنسان أن يأخذ حظه من هذه الشعيرة العظيمة والجلوس مع أهلها.

فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: « إنَّ الله مَلائِكَةً سَيَّارةً فُضَلاءَ يتَتَبَّعُونَ مجالِسَ الذِّكرِ ، فَإِذا وجدُوا مجلِساً فِيهِ ذِكْرٌ ، قَعدُوا معهُم ، وحفَّ بعْضُهُم بعْضاً بِأَجْنِحَتِهِم حتَّى يَمْلأُوا ما بيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا ، فَإِذا تَفَرَّقُوا عَرجُوا وصعِدوا إِلى السَّماءِ ، فَيسْأَلُهُمُ الله عَزَّ وجلَّ ¬ وهُوَ أَعْلَمُ ¬ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُون: جِئْنَا مِنْ عِندِ عِبادٍ لَكَ في الأَرْضِ : يُسبحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ . قال : وماذا يسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جنَّتَكَ . قال : وهَلْ رَأَوْا جنَّتي ؟ قالُوا : لا ، أَيْ ربِّ : قال : فكَيْفَ لو رأَوْا جنَّتي ؟ قالُوا : ويسْتَجِيرُونَكَ قال : ومِمَّ يسْتَجِيرُونِي ؟ قالوا : منْ نَارِكَ ياربِّ . قال : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قالوا : لا ،



قال : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟، قالُوا : ويسْتَغْفِرونَكَ ، فيقول : قَدْ غفَرْتُ لَهُمْ ، وأَعطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا ، وأَجرْتهم مِمَّا اسْتَجارُوا . قال : فَيقُولونَ : ربِّ فيهمْ فُلانٌ عبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ ، فَجلَسَ معهُمْ ، فيقول : ولهُ غفَرْتُ ، هُمْ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».

وذكر الله سببٌ لانشراح الصدور وطمأنينة القلوب وسعة الرزق وحفظ الله عز وجل للعبد بل سببٌ لكل مكرمة في الدنيا والآخرة، وقد أحسن من قال:

بذكر الله ترتاح القلوب *** ودنيانا بذكراه تطيب.

وكلما كان الإنسان لله ذاكراً وله حامداً وشاكراً كان موعوداً بالدرجات العلا والنعيم المقيم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجاتِ العُلَى والنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فَقَال : ومَا ذَاكَ ؟ » فَقَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، ويَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ ، ويَعتِقُونَ ولا نَعتقُ فقال رسول اللهَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : أَوَلَيْس قد يجعل اللهُ لكم ما تَصدَّقُون؟ وفي الرواية الأخرى « أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيئاً تُدرِكُونَ بِهِ مَنْ سبَقَكُمْ ، وتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُم إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثلَ ما

صَنَعْتُم ؟ » قالوا : بَلَى يا رسولَ اللَّهِ ، قَالَ : « تُسبحُونَ ، وتحمَدُونَ وتُكَبِّرُونَ ، دُبُر كُلِّ صَلاة ثَلاثاً وثَلاثِينَ مَرَّةً » أخرجه مسلم .

فانظروا يا وفقكم الله كيف جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله موازياً للصدقات ولكثيرٍ من الأعمال والهبات والطاعات وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي الدرداء عند أبي داود وغيره حاضاً على الذكر: « أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم ، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم ، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم ، وخيرٌ لكم من إِنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم ، فتَضْرِبوا أعناقَهُم ، ويَضْرِبوا أعْناقكُم ؟ ! ، قالوا : بَلَى ، قال : ذِكْرُ الله» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما صلى الله عليه وسلم يسير في الطريق قال لأصحابه: « سِيرُوا هذا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قالوا: وَما الْمُفَرِّدُونَ يا رَسولَ الله ؟ ، قالَ: الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ » أخرجه مسلم .

وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وكم هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضل هذه العبادة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وكان صلى الله عليه وسلم ذاكراً لربه شاكراً له على نعمه ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها :« كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ » أخرجه أبو داود (١٨) .

وربما دعا ربه أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته كما في حديث عبدالله بن مسعود عند احمد وحث عليه معاذ كما في حديث معاذ عند أبي داود وغيره ورغب في الدعاء به:« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ فَلْيَقُلْ : اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ».

وقد قيل أحسن من قال:

وخير ما يدخر الإنسان في ... دنياه كيما يستقيم الدين

قلباً شكوراً ولساناً ذاكراً ... وزوجةً صالحةً تعينه

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهمَّ اجعَلني لَكَ ذاكرًا »

وفي رواية « ذَكَّارًا » وهي صيغة مبالغة لكثرة ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الشعيرة العظيمة.

يطول الوقت في الكلام على أدلة ذكر الله وفضيلته وقد جاء الذكر مطلقاً ومقيدا.

أما المقيد فهو المقيد بأوقاتٍ معلومة أو هيئاتٍ معلومة كأدبار الصلوات والصباح و المساء وعند النوم وغير ذلك من الحالات.

وأما المطلق فهو الإكثار من التسبيح و التحميد و التكبير و التهليل وما في ذلك من الأذكار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أشهرها الكلمات الأربع كما في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: « أحبُّ الكلامِ إلى الله أربعٌ ، لا يضرُّكَ بأيِّهنَّ بدأتَ : سبحانَ الله والحمدُ الله ولا إلَهَ إلَّا الله والله أكبرُ . » أخرجه مسلم.

وعن أبي سلمى عند أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ الله ، وَالْحَمْدُ الله ، وَلا إِلَهَ إِلا الله ، وَالله أَكْبَرُ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ ».

وفي حديث النعمان بن بشير : « إنَّ مِمَّا تَذكُرونَ، من جلالِ الله التَّسبيحَ ، والتَّهليلَ ، والتَّحميدَ ينعطِفنَ حولَ العرشِ ، لَهُنَّ دَويٌّ كدَويِّ النَّحلِ ، تُذَكِّرُ بصاحبِها » أخرجه أحمد (١٨٣٦٢) .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ ».

وفي حديث جويرية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها وهي تذكر الله ثم رجع ضحى وهي على حالها ؛ فَقَالَ : مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا ؟ " قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ"» أخرجه مسلم .

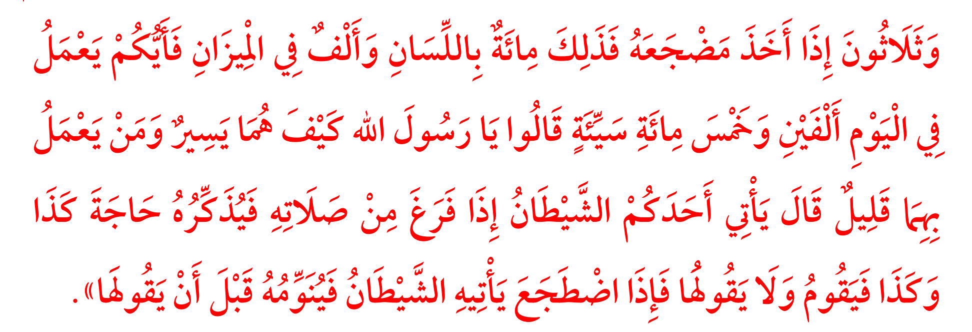
وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» أخرجه مسلم(٢٦٨٩).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه:« مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» أخرجه مسلم.

وفي حديث أبي أيوب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ قالَ لا إلهَ إلاَّ اللهَّ وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، عشْر مرَّاتٍ: كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أرْبعةَ أَنفُسٍ مِن وَلِد إسْماعِيلَ » متفق عليه .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فِي يومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشَرَةِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » أخرجه مسلم .

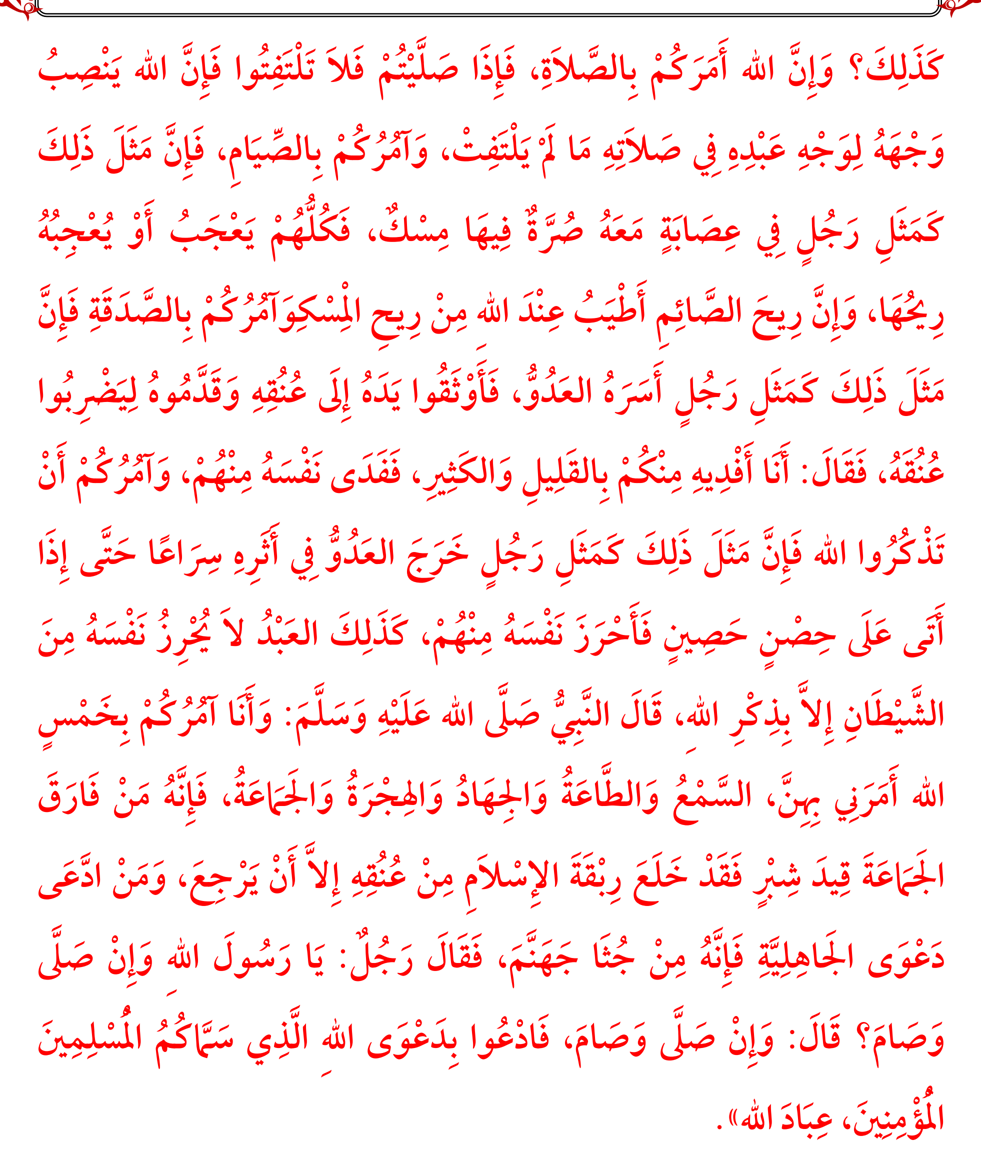
وكم هي الهبات العظيمات والمكرمات الجزيلات من رب الأراضين و السموات للذاكرين له و الذاكرات ولهذا جاء في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عند الإمام أحمد: أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ تُسَبِّحُ الله عَشْرًا وَتَحْمَدُ الله عَشْرًا وَتُكَبِّرُ الله عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيَّتُهُنَّ أَرْبَعٌ



وَثَلَاثُونَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ قَالُوا يَا رَسُولَ الله كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ قَالَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُومُ وَلَا يَقُولُهَا فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا».

ومن كنوز الجنة «لا حول ولا قوة إلا بالله» كما في حديث أبي موسى وغيره رضوان الله عليهم متفق عليه .

وذكر الله هو الحصن الحصين كما في وصية يحيى بن زكريا لبني إسرائيل فعند الترمذي (٢٨٦٣) عن الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ: « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الله أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ الله أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ الله أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِالله كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ


كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ الله أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ الله يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِوَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا الله فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ الله، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ الله أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى الله الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ الله».

فلنكن عباد الله شاكرين لربنا ذاكرين له مثنيين عليه حامدين له تائبين ورجاعين إليه فإن من اعظم ذكر الله الاستغفار ولذلك



قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا» أخرجه الترمذي .

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على الاستغفار ورغب فيه وكان يأتي به في أدبار العبادات وفي كثيرٍ من المجالس فعن أبي برْزَةَ الأسلمي، قال: كان رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول بأَخَرَةٍ إذا أرادَ أن يقوم مِن المجلس: "سبحانَكَ اللهُمَّ وبِحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفِرُك وأتوبُ إليك"، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم –، إنكَ لَتقُولُ قولاً ما كنتَ تقولُه فيما مضَى، فقال: "كفارةٌ لما يكونُ في المجلسِ" أخرجه أبو داود (٤٨٥٩) .

وصح عن ابن عمر رضي الله عنه: « إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » أخرجه أبو داود .

فعلينا بملازمة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل وعلينا بالإكثار من ذكره وشكره لعل ذلك أن يكون سبباً في رفع درجاتنا وتكفير سيئاتنا والإكثار مما يمن الله عز وجل به على عباده المؤمنين.

وإياكم والإعراض فإن الإعراض سببٌ الهوان في الدارين ؛ سببٌ للغفلة عن ذكر الله عز وجل ؛ سببٌ لقسوة القلب ؛ سببٌ للعذاب الأليم

كما تقدم ﴿ وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أَعمى﴾[طه: ١٢٤] عيشة ضنكة في دنياه وفي قبره وآخرته.

وذكر الله طاعته كما قال سعيد ابن جبير وغيره وقد اخرج البخاري من حديث أبو واقد الليثي أنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْنَما هو جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ معهُ إذْ أقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وذَهَبَ واحِدٌ، قالَ: فَوَقَفَا علَى رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأمَّا أحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأَمَّا الثَّالِثُ: فأدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أحَدُهُمْ فأوَى إلى الله فَآوَاهُ الله، وأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله منه، وأَمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ الله عنْه.

والجزاء من جنس العمل فإذا أعرض الله عز وجل عنك قطع عنك كل خير وكان سبب لعذابك وعقابك في دنياك وأخراك نسأل الله السلامة والعافية.

واذا غفل الإنسان عن طاعة الله عز وجل ومرضاته كان ذلك من أعظم أسباب عذابه

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فنعوذ بالله من الغفلة والإعراض والله الله في الإقبال على طاعة الله وسبحانك اللهم ربنا بحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وبحمد الله عز وجل قد ذكرنا في هذه المجالس أكثر من ستين خُلقاً نصفها مما أمر الله به ورغب فيه و دعا إليه ورغب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه و دعا إليه ونصفها مما حذر منه ربنا عز وجل وحذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك وكان المقصد من هذه المجالس أن نتخلق بأخلاق وآداب القرآن وأن نتأسى بالنبي عليه الصلاة والسلام ومبناها على ما ذكره مسلم في صحيحه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، اصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»

فينبغي لنا أن نلازم محاسن الأخلاق مع ربنا ﴿ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ومع أنفسنا وغيرنا .

وعلينا أن نكون في بعدٍ عن سفاسف الأخلاق مع ربنا وأنفسنا ثم مع غيرنا فإن سفاسف الأخلاق سببٌ لبعد العبد عن ربه وسببٌ لبغض العبد

من الناس فكلما كان الإنسان واصلاً للناس محسناً إليهم كان ذلك من أسباب محبتهم له ودعائهم وثنائهم عليه وكلما كان مفرطاً في حقهم مضيعاً مؤذياً لهم كان من أسباب لعنه و الدعاء عليه إلى غير ذلك.

وفقنا الله و إياكم لطاعته ومرضاته وبلغنا سبيل رضوانه إنه ولي ذلك و القادر عليه وسبحانك اللهم ربنا بحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

وكانت الانتهاء من مراجعته :

٢٨/ من القعدة الحرام / ١٤٤١ هـ

والحمد لله رب العالمين .

الفهرس



الفهرس